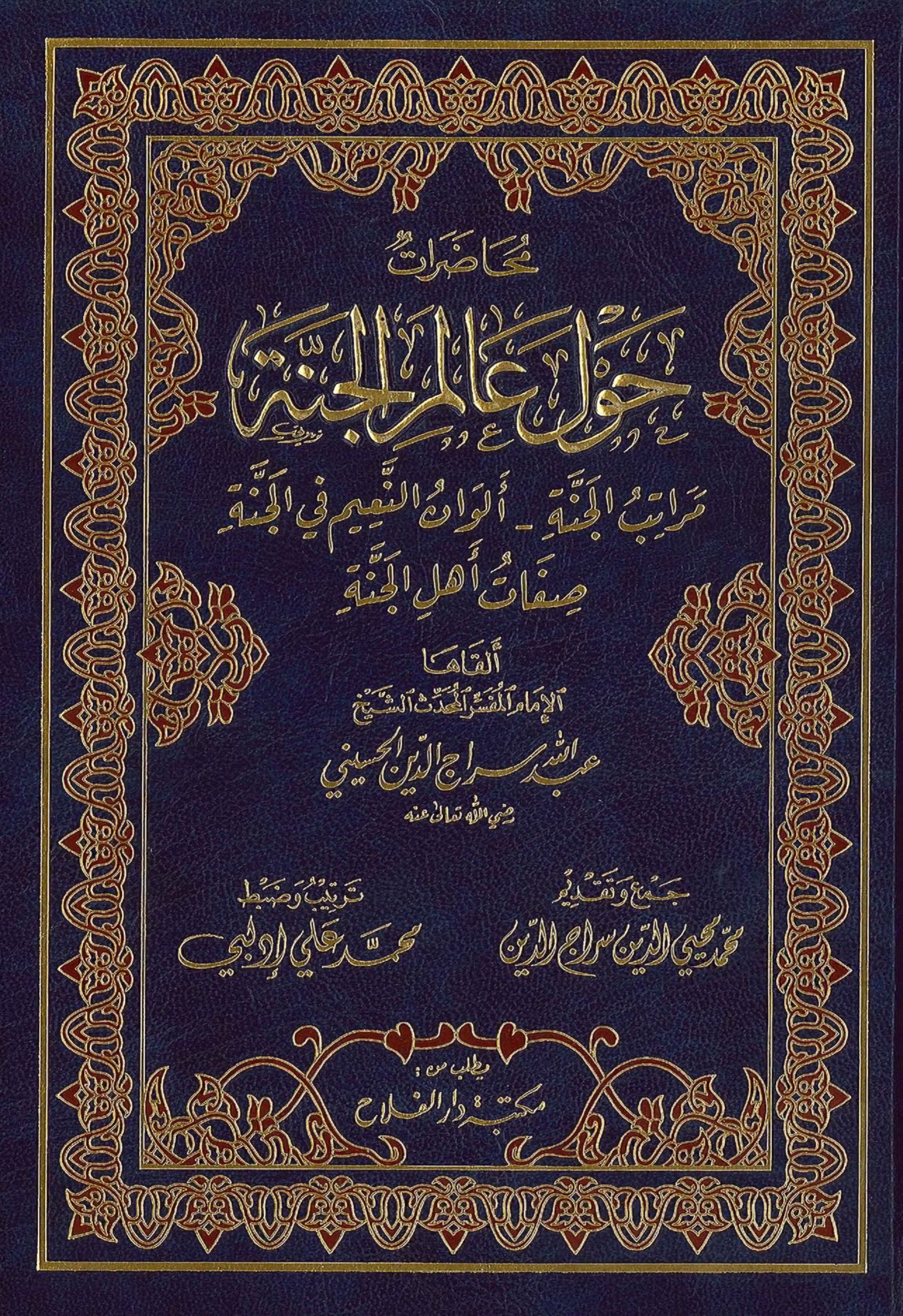
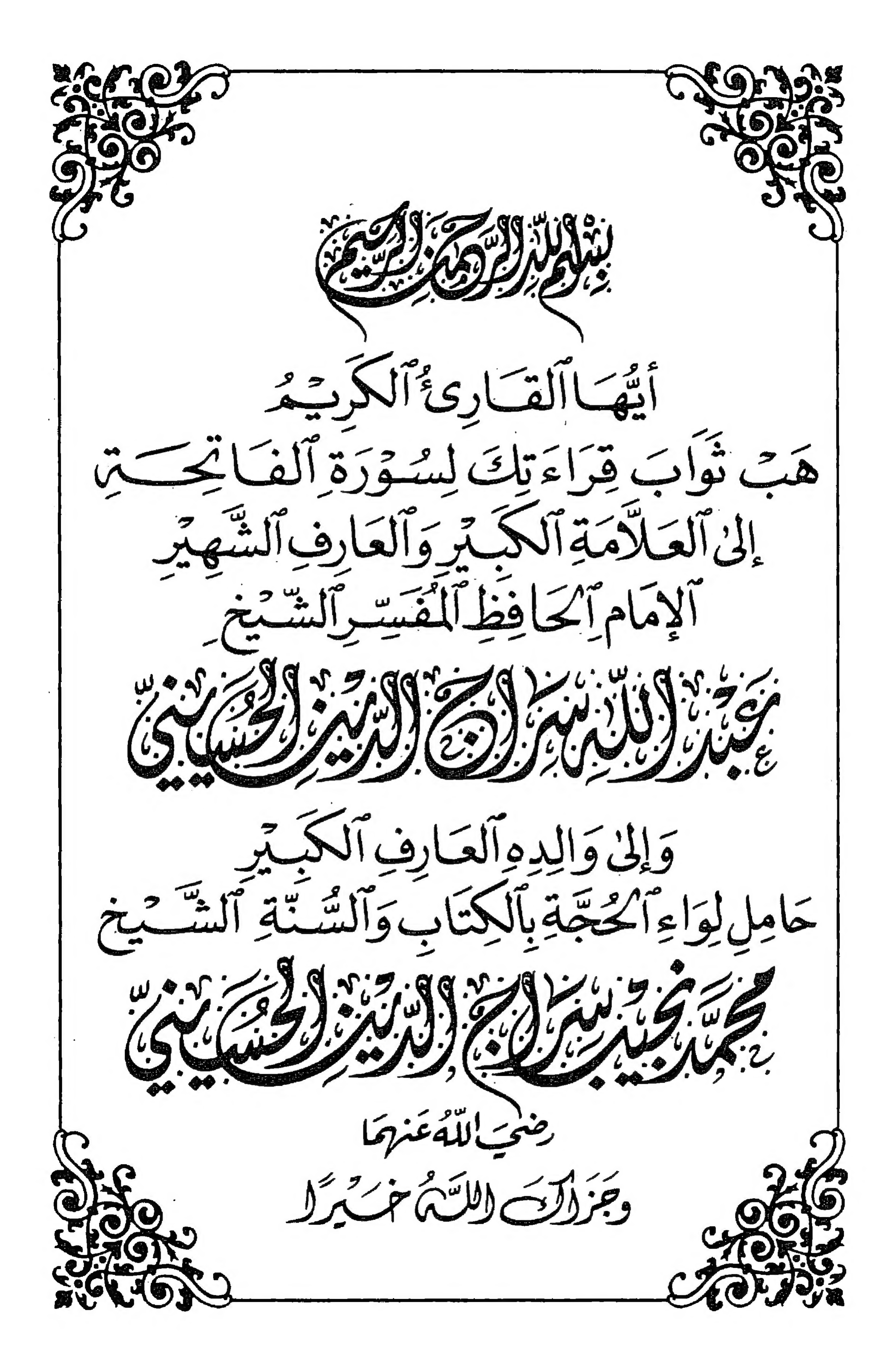
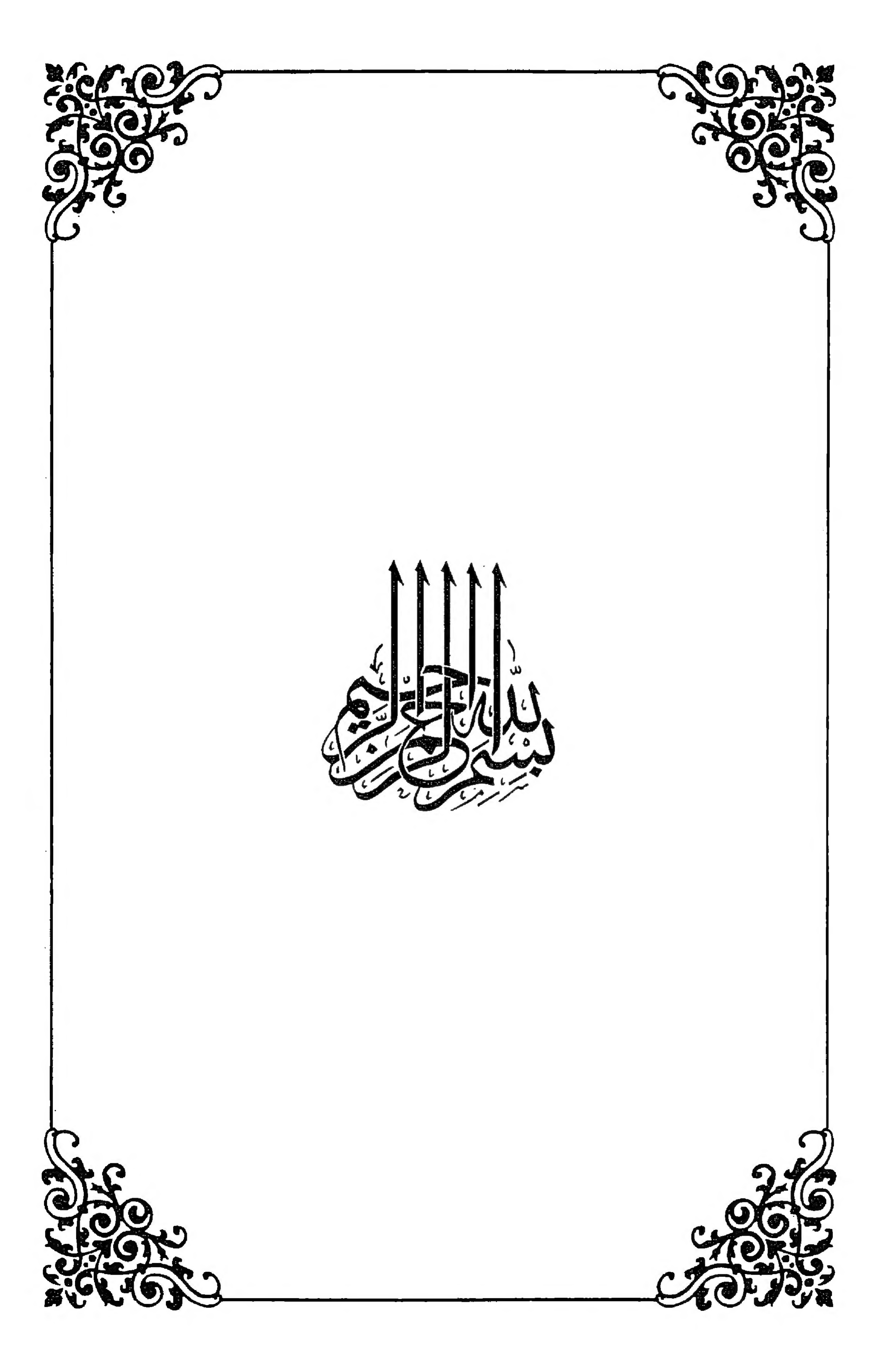

محاضرات
حول عالم الجنة
مراتب الجنة - ألوان النعيم في الجنة
صفات أهل الجنة
ألقاها
الإمام المفسر المحدث الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
رضي الله تعالى عنه
جمع وتقديم
محمد محيي الدين سراج الدين
ترتيب وضبط
محمد علي إدلبي
ويطلب من:
مكتبة دار الفلاح


بسم الله الرحمن الرحيم
أيها القارئ الكريم
هب ثواب قراءتك لسورة الفاتحة
إلى العلامة الكبير والعارف الشهير
الإمام الحافظ المفسر الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
وإلى والده العارف الكبير
حامل لواء الحجة بالكتاب والسنة الشيخ
محمد نجيب سراج الدين الحسيني
رضي الله عنهما
وجزاك الله خيرا


بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات

حول عالم الجنة

مراتب الجنة - ألوان النعيم في الجنة
صفات أهل الجنة

ألقاها
الإمام المفسر المحدث الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
رضي الله تعالى عنه

جمع وتقديم
محمد محيي الدين سراج الدين

ترتيب وضبط
محمد علي إدلبي

يطلب من :
مكتبة دار الفلاح

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد كان من رغبة شيخنا الإمام رضي الله عنه أَنْ يؤلف كتاباً يبحث في عالم الجنَّة، وما يتعلق بألوان النعيم فيها، ومراتب أهلها ودرجاتهم، كما أشار إلى ذلك في آخر كتابه: (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها).

وحرصاً مني على تحقيق رغبته رضي الله عنه، وطلباً لاستمرار مسيرته العلمية المباركة، وإظهار ما وَرَّثه لمن بعده، فقد جمعت ما عثرت عليه من محاضرات تتعلق بهذا الباب، ذَكَرَ فيها شيخنا الإمام رضي الله عنه نَعيم الجِنَان بأقسامها، وألوان نعيم أهلها، الذين أعدوا أنفسهم وتأهلوا لدخولها؛ بالعمل الصالح، والتباعد عن السيئات والمنكرات. وهذا من فضل الله عليهم، ليقال لهم في الآخرة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

ونوَّه شيخنا الإمام رضي الله عنه إلى أَنَّه يجب على المؤمن ترك التشبث بدار الدنيا، التي هي دار السَّقام والآلام، لأَنَّ نعيمها زائفٌ

وفانٍ، وهو في حقيقته دفع للآلام؛ مثل آلام الجوع والعطش وهكذا..

وأما الجنَّة التي هي دار النعيم والسلام، فنعيمها دائم وباق، وهو نعيم حقيقي مِن كل الوجوه والاعتبارات.

وقد كان من بيانه وتوجيهاته رضي الله تعالى عنه أن قال: لقد دعا الله تعالى عباده إلى دار ضيافته وهي الجنَّة، وسماها ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ ورَغَّب فيها وشوَّق إليها، بأن ذكر ألوان النعيم المقيم فيها فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

ثم أمر سبحانه عباده بالمسارعة إلى الجنَّة، وذلك بالمسارعة إلى العمل بأسباب دخولها، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الآيات [آل عمران: ١٣٣]

ثم أمر جلَّ وعلا عباده بالمسابقة إلى الجنَّة فقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١] والسباق: بذل غاية الجهد للحصول على الشيء.

كما أمر سبحانه عباده بالتنافس على الجنَّة؛ بعد أن ذكر شيئاً من ألوان النعيم فيها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦] والتنافس هو: بذل النفس

والنفيس لنيل المرغوب، فإذا كان أهل الدنيا يتزاحمون عليها ويتنافسون لنيل خيراتها الفانية، وأموالها الزائلة، فيقال لهم: أولىٰ بكم أن تتنافسوا علىٰ دخول الجنَّة، وكيف لا وقد قال سبحانه في سياق طلب الرزق في الدنيا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي: جعلها مذللة لكم فامشوا في أطرافها، وتعاطوا أسباب العيش، ولا تغفلوا عن الله وتغتَرُّوا بأنفسكم، فالرَّزَّاق هو الله تعالى الذي قال: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]

ولعل من تدبر في قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ يعي أمر الله تعالى لعباده بطلب الرزق طلباً جميلاً مجملاً. أي: وفق ما شرعه سبحانه في ذلك.

وجاء في الحديث، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن روح القدس نفث في روعي: أن نَفْساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإن الله تعالى لا يُنَال ما عنده إلا بطاعته»[1] أي: لا ينال ما عند الله من الرزق الطيب المبارك إلا بطاعته.

قال الإمام مالك بن دينار رضي الله عنه: لو كانت الدنيا مِنْ ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى؛ لكان الواجب أن يُؤثر خزفاً يبقى على

---

(١) ينظر مصنف ابن أبي شيبة (٨/١٢٩)، ومصنف عبد الرزاق (١١/١٢٥)، والحلية (١٠/٢٧)، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/٦٧ و٧/٢٩٩).

ذهب يفنى، فكيف والآخرة مِنْ ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى[1]؟!!

فالغاية من هذا الكتاب إنَّما هي شحذ همة المؤمن للازدياد من العمل الصالح، والمسارعة إلى الطاعات التي تقرّب المؤمن إلى ربِّ الأرضين والسماوات، سبحانه وتعالى.

وهذا العمل الصالح يُعِدُّ المؤمن ويؤهله لفضل الله تعالى عليه بدخول الجنة، خاصة إذا علم ما فيها من النعيم المقيم، والرضوان الأكبر، وفضل الله العظيم على أهل الجنة، حيث يكشف لهم الحجاب فينظرون إلى وجهه الكريم جلَّ وعلا. اللهم اجعلنا منهم ـ آمين.

وإنَّ مِنْ عادة الإنسان مَحبة التنقل مِن داره إلى أوسع، وتبديل أثاث داره بأثاث أفضل ـ ومصير هذا كله إلى الزوال والفناء ـ فما بالك بنعيم الجنَّة الذي يجب على كل مؤمن التطلع إليه بشوق، والاستعداد لنيله بزيادة العمل الصالح والتقرب إلى الله تعالى.

ذلك لأنَّ المحب يشتاق لجوار رؤية حبيبه، فما بالك ـ ولله المثل الأعلى ـ برؤية الله تعالى الذي هو حبيب كل مؤمن؟ ولا يكون هذا إلَّا في الجنَّة.

علماً أن الجنَّة هي المَأْمَنُ الأصلي لكل مؤمن، لذا ترى المؤمن الصادق يَحِنُّ للجنة والعودة إليها.

---

(١) انظر تفسير القرطبي عند قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

ويرحم الله القائل:

فحـيَّ عـلى جنـات عـدن فـإنَّها
منـازلك الأولى وفيهـا المخَيَّـم
ولكننـا سَـبْيُ العـدوِّ فهـل تُـرى
نعـود إلـى أوطاننـا ونسـلّم

ونسأل الله تعالى أن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب ثوابه في صحيفة شيخنا الإمام رضي الله عنه، الذي وَرّث هذا العلم لمن بعده، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد، كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله ربِّ العالمين

وكتبه

محمد محيي الدين سراج الدين

** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة الأولى:

حول أقسام الجنان

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

*** إنَّ مما جاء في صفة أهل الجنة الخَلْقِيَّة:**

ما رواه الإمام أحمد في (مسنده)[1] عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرداً، مُرداً، بيضاً، جعاداً، مُكَحَّلِيْن، أبناء ثلاث وثلاثين، على خَلْق آدم، ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع».

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «جرداً» جَمعُ أجرد، وهو الذي ليس على بدنه شعر.

«مرداً» جمع أمرد، وهو الذي لا شعر في ذقنه، ويراد به الحَسَنُ.

---

(١) (٢/٢٩٥).

«جعاداً» جَمع أجعد. أي: في الشعر شيء من الجعودة، وهو: تجمع الشعر إلى بعضه مع قصره. وفيه من الجمال ما فيه.

«أبناء ثلاث وثلاثين» في السن والقوة، ولا تمضي عليهم السنون فيصيرون أبناء خمس وخمسين مثلاً، بل هم دائماً في النشأة أبناء ثلاث وثلاثينَ؛ مهما مرَّت عليهم الآباد والأزمان.

وقال سبحانه في صفة الجنَّة: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

أما عدد الجنات من حيث الإجمال فهي سَبْعٌ، وأما مِن حيث التفصيل فهناك جناتٌ عديدة، سيأتي البحث حولها إن شاء الله تعالى.

فهناك جنة دار السلام، وجنة دار المُقام، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عَدْن، وجنة الفردوس.

وقد ذكر سبحانه جميع هذه الجنان وأوصافها، فمن ذلك: قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فذكر سبحانه دار السلام بَعْد أنْ ذكر دار السَّقام وهي الدنيا بما فيها من وصب ونصب وهمّ وغمّ.

وذكر دار السلام لينهض بِهمّة الإنسان إلى عالم آخر، صفته البقاء والخلود، والنعيم بأنواعه وألوانه.

ولقد دعا الله تعالى الخلق إلى دار السلام فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى﴾ أي: إلى إجابة دعوته ﴿مَن يَشَآءُ﴾ على موجب

حكمته وعلمه سبحانه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] أي: الطريق المستقيم، وهو طريق الشرع الإلهي الموصل إلى دار السلام، وهي الدار التي فيها الأمان والتسليم من الله تعالى وملائكته عليهم؛ بعد أن كانوا في دار السقام.

* وأما جنة المُقام فقال سبحانه في وصفها: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

واعلم أن المؤمنين يحمدون الله تعالى عندما ينتقلون من عالم إلى آخر، وإنّ أول ما يقولون ذلك عندما يحشرون من قبورهم:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم - أي حشرهم - وكأني أنظر إلى أهل لا إله إلّا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾»(1).

وهكذا يقولون لمّا يدخلون الجنّة، كما أخبر سبحانه عنهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ [فاطر: ٣٤- ٣٥] أي: دار الإقامة الأبدية، والوطن الأصلي لكل مؤمن وهي الجنة.

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الأوسط، يُنظر مجمع الزوائد (١٠/٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠).

واعلم أنَّ كل خلق الله مسافرون، فمنهم مَنْ جعل الدنيا مطية له للوصول إلى دار السلام، ومنهم مَنْ رَكن إلى الدنيا واطمأنَّ بها، وما الدنيا لمن رضي بها ولم يؤمن بالآخرة إلا جحيم وبلاء وشقاء، وسيظهر ذلك له جليّاً من كل الوجوه والاعتبارات لمَّا ينتقل إلى الآخرة ويدخل في الجحيم الأبدي. ونسأل الله العافية.

* **وأما جنة المأوى** فهي التي يدخلها من تحقَّق بالخشية من الله تعالى والخوف منه، لأنَّ من كان هذا مقامه آواه الله تعالى إليه وأمَّنه، وفي هذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات.

فأما المهلكات: فشحّ مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السرِّ والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السَّبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات.

وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وصلاة بالليل والناس نيام»[1].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، يُنظر مجمع الزوائد (١/٩٠)، وينظر كشف الأستار (٨٠)، ومجمع الزوائد (١/٩١)، والحلية (٢/٣٤٣).

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «شح مطاع» أي: يُطيع نفسه في شحها وبخلها وإمساكها.

* **وأما جنَّة الخلد** فقال سبحانه في ذكرها: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: ١٥-١٦].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من جهنم، وما فيها من أنواع العذاب والعناء والبلاء، ومن أعظم البلاء فيها: أنها ضيقة كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

* **وأما جنة النعيم**: فقد سميت بذلك لما فيها من ألوان النعيم الروحاني العلوي، والنعيم الجسماني: من المآكل والمشارب، والحور والقصور والأنهار.

ومن جملة نعيم جنة النعيم: السماع، كما قال تعالى: ﴿فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] أي: يَسمعون فيها الأصوات المطربة التي تُنعش الروح والقلب.

وكذلك نعيم النظر، ونعيم العقل لما يرد عليهم من مفاهيم ومعارف حول معاني القرآن الكريم وأسراره وأنواره.

واعلم أنَّ نعيم الجنة هو النعيم الحقيقي، بخلاف نعيم الدنيا الذي لو حققت فيه لرأيت حقيقته دفعَ آلامٍ عن الجسم، فمثلاً: لا يشرب المرء إلا إذا عطش، فيدفع ألم العطش بالشرب، وكذلك لا يأكل إلا إذا

جاع، فيدفع ألم الجوع بالطعام، ويلبس لستر عورته وتحسين سَمْتِهِ وهيئته. وهكذا في سائر شؤونه وتقلباته.

أما أهل الجنة فيأكلون لا عن جوع، بل للتنعّم والتلذّذ بأكل الجنة، وهكذا يشربون لا عن ظمأ بل للتنعم والتلذّذ، ويلبسون لا عَنْ عُري وستر عورة؛ بل للزينة والتجمّل، وهكذا سائر أمور أهل الجنة، فهم في نعيم حقيقي من جميع الوجوه والاعتبارات، والحيْثيَّات والكميَّات والكيفيَّات.

ولما أسكن الله تعالى آدم عليه السلام الجنة قال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

ولا تستبعد ذلك، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] فنشأة الجنة باقية ليس فيها إلا النعيم بأنواعه، والطيب بأنواعه: الجسماني، والروحاني، والقلبي، والفكري.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].

فقوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: يهديهم إلى ما فيه مصالحهم، ويدلّهم على كل خير يعود إليهم، وذلك بسبب إيمانهم بالله تعالى وبما أمر به، لأنَّ حقيقة الإيمان في القلب إنما هي نورٌ يلقيه الله تعالى في قلب المؤمن، وبالنور يهتدي الإنسان إلى معرفة الأمور.

كما أنه بسبب إيمانهم يهديهم ربهم إلى الصراط المستقيم، وبإيمانهم يهديهم إلىَ الجنة كما قال سبحانه: ﴿نُورُهُم﴾ أي: نور إيمانهم ﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨] وفي هذا يقول سبحانه أيضاً ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

ومن كان على نور من الله تعالى لا يضلّ في أموره، ويفرّق بين الحق والباطل.

واعلم أنَّ أنوار المؤمنين وقوتها تختلف باختلاف قوَّة إيمانهم، ويظهر ذلك جلياً يوم القيامة، كما جاء بيان ذلك عنه صلى الله عليه وآله وسلم، في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في (مسنده)[1] عن عبد الله ابن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء».

فقيل: مَن الغرباء يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أُناسٌ صالحون في أناس سوء كثير، مَنْ يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

---

(١) (١٧٧/٢و٢٢٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩/١٠): رواه الطبراني في الكبير بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح.
وفي حديث آخر رواه الإمام مسلم في الصحيح /١٤٥/ «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وينظر مجمع الزوائد (٢٧٧/٧ و٢٧٨).

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[1]: وكنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً آخر حين طلعت الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام: «سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة نُورهم كضوء الشمس».

قلنا: مَنْ أولئك يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «فقراء المهاجرين، والذين تُتَّقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يُحشرون من أقطار الأرض».

واعلم أن الغريب لا يؤبه له، وقد يتعرض للأذى أحياناً، ويتعرض لفحش الكلام والاستخفاف به، وهذا شأن المتمسك بدينه بين قوم ضالِّين. نسأل الله العافية.

قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: سؤالهم ودعاؤهم إذا أرادوا أن يدعوا بشيء أن يُعطيهم الله إياه هو: تسبيح الله تعالى.

قال ابن جُريج: أُخبرت أن قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ قال: إذا مَرَّ بهم الطير يشتهونه قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فَيُسلم عليهم، فيردون عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

---

(١) كما في المسند (٢/١٧٧).

(٢) انظر تفسير الطبري، وابن كثير، والدُّرَّ المنثور للسيوطي لهذه الآية الكريمة.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: إذا فرغوا من أكل أو شرب ونحوه قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: على ما تفضل وأنعم علينا.

ومن وجه آخر: معنى ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: أي: عبادتهم في الجنة إنما هي تسبيح وتحميد لله تعالى، وعليهم من الله السلام والتحية والأمان. وإنّ عبادة أهل الجنة لا تكليف فيها ولا مشقة على النفس، بل هي كَلف بلا تكلّف، أي: بل هي راحة لهم ولذة ونعيم أولعوا بها، كما بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله: «يلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهمون النفَس»[1].

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أنهم يختتمون عباداتهم بالحمد لله رب العالمين.

❊ **وأما جنة عدن** فقال فيها سبحانه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥-٧٦].

واعلم أولاً أننا قد أتينا على ذكر الجنان بالترتيب من حيث الأفضلية وعلوّ الرتبة، فكل جنة مذكورة أفضل وأعلى مِنَ التي قبلها، ولكل مؤمن حَظُّه ونعيمه في جنَّة من هذه الجنان، وله نعيم في هذه الجنان كلها على حسب قوة إيمانه وتقواه.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ العمل الصالح هو: الذي شرعه الله

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

تعالى لعباده والتقرب إليه سبحانه، وبهذا العمل الصالح يصلح صاحبه أن يدخل الجنة، فهو مأخوذ من الصَّلاح ضد الفساد، ومن الصلوحية أي: الأهلية.

كما أن قوله سبحانه: ﴿عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يقل: عملوا من الصالحات، ليدلّ على أنهم قد استقصوا فعل الصالحات كلها على حسب قوة إيمانهم.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ أي: لهم الدرجات العلى في الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم مَن تحتهم؛ كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[١].

وفي رواية[٢] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أهل الجنة ـ أي: من الأبرار ـ يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضُلِ ما بينهم».

قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى والذي نفسي بيده؛ رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

---

(١) رواه الترمذي، في كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٣٦٥٩)، وابن ماجه في المقدمة (٩٦).

(٢) عند الإمام البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٦)، وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣١).

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: طهّر نفسه عن الأدناس والرذائل، بأن تحقق بما شرع الله تعالى، واتبع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي جاء للناس وله معهم مواقف، ومنها: أنْ يزكيهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] أي: يطهركم من النجاسات الاعتقادية، والعملية، والقولية، والخُلُقية، ثم لتتحققوا بالفضائل والمكارم والكمالات.

ومن أعظم أسباب تزكية النفس: ما بيَّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أن يعلم أن الله معه حيث كان»[١].

أي: فمن راقب الله تعالى في جميع أموره وحركاته؛ حمله ذلك على الخشية منه سبحانه، والتباعد عن كل ما يُغضبه جلَّ وعلا، والعمل بكل ما يرضيه سبحانه ويرضي رسوله الكريم سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم.

واعلم أن نسبة جنة عدن لباقي الجنان كنسبة القلعة إلى البلد، وجنة الفردوس تقع في وسطها وأعلاها، وهكذا فجنة عَدن مُشرفة على باقي الجنان، ويوجد في منتصفها شجرة طوبى.

وإنَّ الله تعالى قد خلق جنة عدن بيده، كما خلق آدم عليه السلام، وغرس فيها بيده شجرة تُسمى شجرة طوبى، التي ذكرها الله سبحانه

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام البيهقي في شعب الإيمان (١٨٧/٣) رقم (٣٢٩٧).

بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

[الرعد: ٢٩]

ومن خصائص شجرة طوبىٰ أن أغصانها ممدودة على جميع الجنان، وتتفرع على جميع قصور أهل الجنَّة، وثمرها ينشأ عنه ثياب لأهل الجنَّة؛ لأن ثياب أهل الجنَّة ليست منسوجة نسجاً، وإنما هي من ثمار شجرة طوبىٰ، وهذه الألبسة هي ألبسة الإيمان والتقوى، يلبسها أهل الجنة ليقابلوا التحيّات الإلّهية عليهم، وكل تجلّ له حكمه وشأنه، وله لباس خاص يلبسه أهل الجنة.

روى الإمام أحمد في (مسنده)[1] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو يُحدث القوم قام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت ثياب أهل الجنة! أتنسج نسجاً أم تشقق من ثمر الجنة؟

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: فكأن القوم تعجبوا من مسألة الأعرابي.

وفي رواية[2]: فضحك بعض القوم ـ أي: عجباً لا ازدراءً ـ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تعجبون من جاهل يسأل عالماً» أي: علام هذا التعجب؟

قال: فسكت صلى الله عليه وآله وسلم هنيهة ـ أي: مدة ـ ثم قال: «أين السائل عن ثياب أهل الجنة»؟ قال: أنا.

---

(١) (٢/٢٠٣).

(٢) في المسند (٢/٢٢٥).

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا بل تُشقق من ثمر الجنة».

ولما كانت جنَّة الفردوس تقع وسط جنة عدن وأعلاها، فهي في أعلى الجنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة»[1].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة مائةَ درجة، ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوق ذلك عرش الرحمن، ومنها تَفَجَّرُ أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فَسَلُوهُ الفردوس»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

فهم لا يطلبون بألسنتهم التحول عنها، ولا استعداد عندهم للتحول عنها، لأنّ أهليتهم واستعدادهم ونشأتهم لها.

واعلم أنَّ مقام الوسيلة في الجنة هو أعلى مِنْ مقام جنة الفردوس، وهو مقام مُشرف على بقاع الجنة كلّها، وقد خصَّ الله تعالى نبيه سيدنا

---

(١) طرف من حديث رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين (٢٧٩٠).

(٢) طرف من حديث رواه الترمذي، في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة (٢٥٣٢).

محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المقام، الذي لا ينبغي أن يكون إلا لعبد واحد، هو سيد العِبَاد والعُبَّاد أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنَّه مَنْ صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله؛ وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»[1].

وأما سؤال الوسيلة، ففي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة»[2].

فكل خير يَتَنَزَّلُ على أهل الجنة إنما يتنزَّل عن مقام الوسيلة الذي ناله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فواسطته صلى الله عليه وآله وسلم بين الخلق والحق سبحانه لا تنقطع.

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن (٣٨٤)، وأبو داود في كتاب الصلاة (٥٢٣)، والترمذي في كتاب المناقب (٣٦١٩)، والنسائي في كتاب الأذان من سننه، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان (٢/ ٢٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند الأذان (٦١٤)، وأبو داود (٢٥٩)، والترمذي (٢١١)، والنسائي (٢/ ٢٧)، وعند البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠) لفظة: «إنك لا تخلف الميعاد».

فلقد أنقذ الناس من أهوال الموقف، وقام فيهم مقاماً محموداً حمد الله تعالى فيه بمحامد لا يَعلمها أحد من خلق الله سبحانه، فكشف الله به الكُرَب عن أهل الموقف، وراحوا يَحمدون الله تعالى بمحامد أخذوها عن مقام سيدنا رسول الله المحمود، وراحوا يحمدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه أنقذهم من هول الموقف.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم الواسطة العظمى بين الخالق جل وعلا والخلق، ولا غنى لك أيها العاقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع العوالم حتى في الجنة ـ فافهم.

واعلم أن عدد درجات الجنة مائة درجة كما تقدم في الحديث، وهي على عدد أسماء الله تعالى.

وإن قلت: هي تسع وتسعون اسماً؟

يقال: هناك اسم ـ وهو المائة ـ باطن في كل الأسماء الإلٓهية وهو اسم **الله الأعظم**(١).

ومقام الوسيلة يوجد في أعلى الدرجات في الجنة، وهي تمام المئة، ولذلك كان لمقام الوسيلة ظهورٌ وإمداد لكل مراتب الجنة، كما أن الاسم الأعظم بَطن في الأسماء التسعة والتسعين.

---

(١) اعلم أن أسماء الله تعالى لانهاية لها، لأنها أسماء صفات وكمالات، وكمالاته تعالى لا تتناهى، فأسماؤه تعالى لا تتناهى، وأما تلك الأسماء التي جاءت في الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» ـ كما في صحيح الإمام البخاري، آخر كتاب الشروط (٢٧٣٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ـ فإن لهذه الأسماء خصوصية أن من حفظها ووعاها، وعَبَدَ اللهَ تعالى بها دخل الجنَّة.

واعلم أن تحت كل درجة من درجات الجنَّة منازلَ وخوخات، وعدد منازل أهل الجنة على عدد آيات القرآن الكريم، وليس المراد بالآيات من حيث الوقوف، بل من حيث الدلالة على المعاني، ولا يعلم حدّ ذلك إلَّا الله تعالى.

ونسأل الله التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

** ** ** ** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة الثانية:

حول ألوان النعيم في الجنة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

اعلم أنَّ النعيم في الجنة منه ما يعود إلى جزاء الأعمال الصالحة التي عملها المؤمن، وهناك جنة الميراث، وجنة الاختصاص.

أما جنة الأعمال، فقد قال سبحانه فيها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

والمعنى: فلا تعلم أيّ نفس ما أخفى الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الذي تَقَرُّ به العيون، جزاء ـ أي: مقابلاً ـ لأعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا.

وروى الإمام مسلم في صحيحه[١]، عن المغيرة بن شعبة رضي الله

(١) في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٩).

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سأل موسى عليه السلام ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟

فقال تعالى: هو رجل يجيء بعد ما أُدخلُ أهل الجنَّة الجنة، فيقال له: أُدخل الجنة ـ أي: وهو آخر العصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار ـ.

فيقول: أَيْ ربّ كيف وقَدْ نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم ـ أي: يُخَيَّلُ إليه أنها ممتلئة ـ.

فيقال له: أترضى أن يكون لك مِثْل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟

فيقول: رضيت ربّ.

فيقول سبحانه: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله.

فيقول في الخامسة: ربّ رضيت.

فيقول الله تعالى: هذا لك وعشرة أمثاله معه، ولك ما اشتهت نفسك، ولَذَّت عينك.

فيقول: رضيت ربِّ.

قال موسى عليه السلام: ربّ فأعلاهم منزلة؟

فقال الله تعالى: أولئك الذين أَرَدْتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تَر عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر».

وهكذا فجنة الأعمال يتنعم فيها أهل الجنة على حسب أعمالهم، وفيها المنازل والمراتب على عدد شعب الإيمان، وهي بضع وسبعون

شعبة، كما دل عليه الحديث[1] عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

فكل شعبة من شعب الإيمان تحقق بها المؤمن في الدنيا إنما يتنعم بها في الجنَّة، ولكل شعبة لون من النعيم.

وأهل الجنة يتقلبون في نعيم أعمالهم التي عملوها ويتبوَّؤُون منها حيث شاؤوا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾

[الزمر: ٧٤]

فهم يتبوّءون في الجنة حيث شاؤوا على حسب أعمالهم المختلفة التي قدموها في الدنيا؛ فهم يتنعمون بها.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على مَن يسَّره الله تعالى عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أدلُّك على أبواب الخير؟: الصوم جنَّة ـ أي: وقاية من المعاصي والأضرار والآفات: حِسَّاً وجسماً

---

(١) الذي رواه مسلم في كتاب الإيمان (٣٥)، وينظر البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٩).

وروحاً ـ والصدقة تُطفئُ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» قال: ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

[السجدة: ١٦-١٧]

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذِرْوَةِ سنامه»؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «رأس الأمر الإسلام ـ أي: أن تسلم لله تعالى قلباً ولساناً ـ وعموده الصلاة، وذروة سنامه ـ أي: عزه ومجده ـ الجهاد».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبرك بِمِلَاكِ ذلك كله»؟ أي: ألا أدلك على أمر تملك به عليك أعمالك التي عملتها، وتحفظها عليك بحيث لا تذهب إلى غيرك أو تحبط؟!!.

قلت: بلى يا نبي الله.

فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم بلسانه وقال: «كُفَّ عليك هذا».

فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يَكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال: «على مناخرهم» ـ إلا حصائد ألسنتهم»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٣١)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٩)، وابن ماجه في كتاب الفتن (٣٩٧٣).

والشاهد في الحديث قول معاذ رضي الله عنه: أخبرني بعمل يدخلني الجنة وهي جنة الأعمال.

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

فهناك قرارة العين وهناك لذة العين.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ولم يقل: من قرة أذن!!! مما يدل على أن للعين فيه حظاً ونصيباً، ولا تقرّ العين على الحقيقة في الجنة إلا بالنظر إلى وجه الله تعالى.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حُبِّبَ إليَّ من الدنيا: النساء والطِّيْبُ، وجعلت قرَّة عيني في الصلاة»[1] ولم يقل: جعلت قرَّة أذني في الصلاة، وذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم بلغ مقاماً في مشاهدة تجليات ربِّه سبحانه على درجة فردانية خاصة به عليه الصلاة والسلام؛ لم ينلها أحد غيره.

واعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الشهود الدائم لربه سبحانه، لكن هناك في الصلاة شهود أعظم وأكبر، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم هو القائل: «اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك»[2].

---

(١) الحديث في المسند (١٢٨/٣ و٢٨٥)، وسنن النسائي أول كتاب عشرة النساء (٦١/٧).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٤٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه، وينظر المسند (١٣٢/٢).

وقال عليه الصلاة والسلام في الإحسان: «أن تعبد الله كأنَّك تراه» أي: وأنت مشاهد لله بقلبك كأنك تراه بعينك «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

وعلى هذا فإنَّ قرَّة أعين المؤمنين الصادقين في الدنيا إنما هي بشهودهم لربهم في قلوبهم، وأما في الجنة فإنَّ قرارة أعينهم برؤيتهم لله سبحانه عياناً من كل الوجوه، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

* **وأما جنَّة الميراث**: وهي النعيم الذي ورثه أهل الجنة من المراتب والمنازل التي كانت للكافرين لو آمنوا. وهذا لأنَّ الله تعالى جعل لكل مخلوق من المكلفين منزلين: منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، لأنَّ نسبة الإيمان والكفر على هذا المخلوق، كلاهما أمر ممكن جائز، فإذا كفر المكلف دخل منزله في النار؛ وترك منزلاً في الجنة لو أنه آمن لدخله.

وأما المكلف إذا آمن دخل منزله في الجنة، وترك منزلاً في النار فيما لو كان قد كفر لدخله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تحاجّت الجتة والنار.

---

(١) طرف من حديث رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عليه السلام (٥٠)، ومسلم في أول كتاب الإيمان (٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

فقالت النار: أُوثِرت بالمتكبرين والمتجبرين.

وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ـ أي: صغار النفس بتواضعهم لله تعالى ولعباده المؤمنين ـ.

فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أُعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما مِلْؤها.

فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوىٰ بعضها إلى بعض»[1].

وفي رواية[2]: «وأما الجنة فإنَّ الله يُنشئ لها خلقاً».

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها» أي: خلقاً خلقهم وَقَدَّمَهُمْ إلى جهنم، وفي رواية[2]: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله» أي: جماعة يخلقهم الله تعالى مستعدين لجهنم ويقدمهم إليها، كما يقال في لغة العرب (رجل جراد) أي: جماعة كثيرة من الجراد، وفي الحديث: «رجل جراد من ذهب»[3].

وهؤلاء الجماعة المقدمون إلى النار هم مظهر اسم الجبار سبحانه، خلقهم الله تعالى من نيات الكافرين الباطلة، فهناك تمتلئ النار وتزوىٰ وتقول: قط قط، أي: كافٍ كافٍ.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٧).

(٢) في المسند (٢/٣١٤)، وصحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب وتقول: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠] (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧).

(٣) طرف من حديث رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٩١).

وأما فضل الجنة فيخلق الله تعالى خلقاً من نيات المؤمنين وعقائدهم الصالحة، ويُسكنهم فضل الجنة، ويتنعم المؤمن بذلك أيضاً.

وقال الله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وفي الحديث[1]: «خلق الله جنة عدن بيده، وخلق فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

فقال سبحانه: وعزَّتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل».

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم بيَّن صفاتهم حتى لا يدعي أحد ذلك إلا إذا تحقّق بهذه الصفات:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ واللغو: هو الكلام الذي لا فائدة منه لمصلحة دنيوية ولا أخروية، فإذا كان هؤلاء عن اللغو معرضين فهم من باب أولى معرضون عن الكلام الحرام من: غيبة، ونميمة، وبذاءة كلام.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ينظر مجمع الزوائد (١٠/٣٩٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ فهم يُزكون أنفسهم من الشُّح، ويزكون أموالهم بتطهيرها وتنميتها، وكذلك يُزكون أنفسهم بالأعمال الصالحة، إذ إنّ أعمال الشريعة كلها تطهير لها، وهي التخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل، وهذا قوله تعالى في بيان مواقف سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع العالم: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ وهناك الأمانات الخَلقية، والشرعية، والنفسية، وإنّ لله عندكِ أمانات كونية وشرعية، أما الكونية فهي أعضاؤك وجوارحك كالسمع والبصر، واليد والرجل، كل هذه أمانة لله تعالى عندك استرعاك الله عليها، فأحسِنْ رعايتها بأن تتصرف فيها كما أمرك الله تعالى، قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وهناك أمانات المخلوقات، كمن ائتمنك على ماله أو عرضه أو حديث... وهكذا؛ ومن أسرَّ إلى أخيه حديثاً فقد ائتمنه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ أي: يرعون أماناتهم الإلٰهية والخَلْقية، ويلتزمون بأداء عهودهم ووعودهم وعقودهم؛ مع الله تعالى ومع خلق الله تعالى.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ إشارة إلى جنة الميراث ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

❊ **وأما جنة الاختصاص**: وهذا النعيم اختصاص إلهي يخصّ الله

به من يشاء من عباده المؤمنين، وهذا الاختصاص الإلّهي مُرتب على نِيَّاتهم الصادقة، وليس على عمل المؤمن.

ومن جملة خصائص هذا اللون والنعيم وهو جنة الاختصاص: أنَّ الله تعالى يُعطي من باب المنة والاختصاص، يعطي سبحانه المؤمنين الذين تمنوا الأماني الصحيحة، وتحققوا بالنيات الصادقة؛ ثم لم يتيسر لهم فعل ما أرادوا، فإنّ الله تعالى يعطيهم ثواب ونعيم تلك الأعمال التي نَوَوْا فعلها وإن لم يفعلوها لعذر شرعي، أَوْلَمْ يتيسر لهم ذلك، كما لو نوى مؤمن إطعام المساكين لو كان معه مال، أو نوى حج بيت الله تعالى لو تيسّر له ذلك بالمال أو صحة البدن وهكذا.. فإن مثل هذا يُعطيه الله تعالى ثواب ما نواه وتمنّاه لمّا يدخل جنة الله تعالى، وهذا من باب التخصيص الإلهي، وليس هذا من باب العمل لأنه لم يعمل.

واعلم أن النية الصادقة لفعل الخيرات والصالحات إنما هي رأسمال كبير لمن عجز عن فعلها لأسباب شرعية، أو موانع أعاقته عن فعلها، وله من الثواب والعطاء كمن فعلها، بل قد يكون أعظم وأكبر، لأن الفاعل للصالحات قد لا ينجو من شوائب الرياء والسمعة، أو عدم التحقق بالإخلاص لله تعالى وحده.

وأما الدليل على هذا التخصيص الإلّهي بالنعيم في جنة الاختصاص، فهو ما جاء في الحديث[1] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة

---

(١) الذي رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا (٢٣٢٦) عن سيدنا أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه.

أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر».

- وفي رواية[1]: «وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه الله» -.

«وأحدثكم حديثاً فاحفظوه - قال -: إنما الدنيا لأربعة نفر: - أي: أن أهل الدنيا ما بين واحد من هذه الأقسام الأربعة -:

عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربّه، ويَصِل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً؛ فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيّته، فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يَصِل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً؛ فهذا بأخبث المنازل.

وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء».

ومثل هذا - نسأل الله العافية - قد خسر الدنيا والآخرة.

ومن جملة التخصيص الإلهي: الرضوان الإلهي الأكبر على أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

---

(١) في صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨).

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

فقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: بعضهم أحباب بعض، وبعضهم أنصار بعض، وبعضهم إخوان بعض، أي: أنه بين المؤمنين رابطة الإيمان تربطهم وتجمعهم وتؤلف بينهم، وطالما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فكان شأنهم فيما بينهم ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي: أن كلّاً منهم ناصح لأخيه المؤمن، ودالّ له على الخير، ومحذر له من الشرّ، فهم يقومون بأداء الحقوق فيما بينهم، ويقومون بأداء حق الله تعالى عليهم... قال سبحانه ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما أمر سبحانه.

﴿وَرَسُولَهُۥٓ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إليهم بعلو الرتبة والمقام.

﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ وجاء بِسِيْنِ الاستقبال ليدل على توالي الرحمات عليهم واستمرارها في جميع العوالم، وهذا ضمان من الله تعالى لعباده المؤمنين بالرحمة إن هم تحققوا بما أمرهم به سبحانه في الآية الكريمة.

وأما إذا كان المؤمنون أعداء فيما بينهم، وراحوا يتباغضون ويتحاسدون ويقتتلون وهكذا... فأنّى لرحمة من الله أن تصيبهم؟!!، فلا

يرحمهم الله إلا إذا تراحموا فيما بينهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1].

وقد يقول قائل: أنى لرحمة الله أن تصيب المؤمنين وقد اجتمع عليهم الأعداء وهم في قلة وذلة؟

فيقال له: قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] أي: إن الله غالب قادر لا يُعجزه شيء، فهو يرحم المؤمنين على قلة عددهم وضعفهم ما داموا متحابِّين فيما بينهم، متناصحين متناصرين، قائمين بأداء حقوق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم.

وقد يقال: متى يكون هذا؟

فنقول: قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: أن حصول هذا راجع لحكمته سبحانه، وللنصر والفرج والرحمة آجال محدودة، وما عليك أيها المؤمن إلا استنزالها وانتظارها.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ أي: للتنعم والتنزه والتفكه ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ لأنهم طابوا فدخلوها، كما قال سبحانه: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فالجنة مساكنها طيبة، وأهلها طيبون، وكلامهم طيب قال جل وعلا: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٦٠)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس (١٩٢٥) عن سيدنا عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وإن ريح الجنة طيب، لِمَا روىٰ الإمام مسلم في صحيحه[1]، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما - أي: سيوجدان بعده صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الزمان - قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسْنِمَة البُخْتِ المائلة، - أي: الإبل - لا يدخلن الجنة، ولا يجِدْنَ ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

فهن كاسيات بالظاهر عاريات على الحقيقة، لأن لباسهن فيه الزينة والفتنة مما يلفت الأنظار إليهن، فهن مائلات عن الخير إلى الشر، مميلات لغيرهن بالنظر إليهن واستثارة الشهوة وهكذا.

وأما الحجاب الشرعي المطلوب فهو ما يحجب بدن المرأة وزينتها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

وممَّا جاء في صفة مساكن الجنة الطيبة، ما رواه الترمذي[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله ما لَنا إذا كنا عندك رقّت قلوبنا، وزهدنا في الدنيا، وكنَّا من أهل الآخرة، فإذا خرجنا من عندك فآنسنا أهلينا وشممنا أولادنا؛ أنكرنا أنفسنا؟ أي: تغير الحال بنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أنكم تكونون إذا خرجتم مِنْ عندي كنتم على حالكم ذلك - أي: دائماً - لزارتكم الملائكة

---

(١) في آخر كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات... (٢١٢٨).

(٢) في أول كتاب صفة الجنة (٢٥٢٨)، وينظر المسند (٢/٣٠٥ و٤٤٥).

في بيوتكم - وفي رواية[1]: «لصافحتكم الملائكة بأكفّهم» - ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذنبوا فيغفر لهم» اللهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً.

قال: قلت: يا رسول الله ممَّ خُلِق الخلق؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من الماء».

قلنا: الجنة ما بناؤها؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لَبِنَةٌ من فضة ولَبِنة من ذهب، وملاطها - وهو ما يوضع بين الأحجار في البناء - المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، مَنْ دخلها ينعم لا ييئس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم».

واعلم أنَّ ذهب الدنيا له قيمة اعتبارية قائمة على أساس ندرته، ولو ندر معدن آخر لبلغ قيمة الذهب، أما ذهب الجنة فله اعتباره وقيمته الذاتية.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها فوق الغمام، وتفتّح لها أبواب السماء، ويقول الرب عزَّ وجلَّ: وعزَّتي لأنصرنك ولو بعد حين».

وعن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها».

---

(١) في المسند (٢/٣٠٥).

فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّى لله بالليل والناس نيام»[1].

قوله سبحانه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ورضوان من الله يتجلى به سبحانه على أهل الجنة أكبر عندهم من كل نعيم الجنة؛ من مساكنها وقصورها، وحورها وثمارها وظلالها.

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: ورضوان الله، ليكون المعنى ورضوان يَسير من الله تعالى يتجلَّى به على أهل الجنّة، لأن التجليات بالرضوان الإلهي مختلفة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة.

فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك.

فيقول هل رضيتم؟.

فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك.

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟.

فيقولون: يا رب وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟.

---

(١) رواه الترمذي، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف (١٩٨٥)، وينظر فيه (٢٥٢٩).

فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

وعندها يحمد أهل الجنة ربهم على هذا الفضل الكبير، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. [يونس: ١٠]

فقد أعطاهم الله تعالى من ألوان النعيم حتى رضوا بما أعطوا، ثم أراد سبحانه أن يعطيهم حتى يرضى هو سبحانه فأحلّ عليهم رضوانه.

واعلم أن رضا المحبوب هو غاية المطلوب، ولا أعظم من الله تعالى محبوباً عند المؤمن، وإذا كان العبد لا يشعر بلذة حبه لربه في الدنيا فهو في الآخرة يشعر بذلك، لأن حجاب الدنيا وغطاء الجسم الدنيوي قد ارتفع عنه، وراح يتذوق حُبَّه لربّه، ويشعر بلذة ذلك ونعيمه، وأخذ في طلب ذلك، فحقق الله تعالى لأهل الجنة ما فيه أكبر نعيم لهم بأن رضي عنهم.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال حين ينادي المنادي بالصلاة: اللهم ربّ هذه الدعوة القائمة، والصلاة النافعة، صلِّ على محمد، وارضَ عني رضاً لا سخط بعده؛ استجاب الله دعوته»[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنَّة والنار (٦٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (٢٨٢٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٣٣٧)، والطبراني في الأوسط، ينظر مجمع الزوائد (١/٣٣٢).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال بعضهم: في قوله سبحانه ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرضوان الإلهي على أهل الجنة، إذ لا فوز أعظم منه.

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

فقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولم يقل: زين للناس حب النساء والبنين، وذلك لأنَّ الحب صفة قائمة في النفس تتعلق بشيء محبوب، وقد يُصوِّرُ هذا الحب لصاحبه صورة خيالية في الفكر يندفع المحب نحوها بدافع شهوته، ولدى التحقيق: فالإنسان لَمَّا أحب المرأة الفلانية إنما أحب صورة خيالية قائمة في نفسه بدافع شهوته، أما الحب الإيماني فهو حب يتعلق بذات المحبوب سواء كان رجلاً أو امرأة.

ومما يدل على أنَّ الحب الشهواني مُعلق بالخيال: أن الإنسان إذا تخيل في ذهنه امرأة وراح يفكر في محاسنها تحركت شهوته وإن لم ير تلك المرأة، أما حب المؤمن للنساء في الجنة فهو حب حقيقي لا خيالي.

وكذلك الأمر في سائر المحبوبات الدنيوية من مال وولد ومتاع

وحرث، فمن لا مال له تراه يحب المال لأنه يتخيل أنْ لو كان عنده مال لتنعم به، وهكذا..

فالحب في الدنيا لا يتعلق بالحقيقة بل يتعلق بالخيال.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ أي: بأن لم يقعوا في آثام حب الشهوات والنساء والبنين وغيرها، بل إنّهم تصرفوا فيها كما أمرهم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٌ﴾ فقد قدّم ذكر الجار على ذكر الدار.

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ...﴾ [البينة: ٨]، وقوله تعالى مخبراً عن السيدة آسية: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] وذلك لأن سقف الجنة عرش الرحمن، ولا أعظم من جوار المحبوب وهو الرب الكريم سبحانه.

وقد سألت السيدة آسية عليها السلام سألت ربها الجوار قبل أن تسأله الدار، وهذا مِنْ معرفتها بالله تعالى وقوة فقهها، فقد طلبت جوار الرب الكريم ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ الآية [التحريم: ١١].

وكما أن الجار قبل الدار، كذلك فإنّ الرفيق قبل الطريق كما قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] أي: بصحبة عبده، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفراً قال: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»[١].

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (١٣٤٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وينظر سنن الترمذي كتاب الدعوات (٣٤٣٤)، والنسائي (٢٧٣/٨) وغيرهم.

وكذلك فإن الجليس قبل الجلوس، أي: تَحَرَّ جلساء الخير والصدق قبل أن تجلس في أيّ مجلس، قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني»[1].

وحذر سبحانه من مَجالس الكفر والفسوق فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ويرحم الله القائل:

إذا كنت في قوم فصَاحِبْ خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾.
[هود: ١١٣]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١٢٣١) و(٣٥٤٢٨)، والبيهقي في الشعب (٦٨٠)، وله شاهد عند البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «وأنا معه إذا ذكرني».

وقال جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟

فقال: لا، فقتله فكمَّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟

فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ـ أي: أنه أمره بهجر جلساء السوء الذين كان يأوي إليهم، وأن يرحل إلى أرض يجالس فيها الصالحين المتعبدين ـ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٢١٠١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين (٢٦٢٨).

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط.

فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـ أي: حَكَماً ـ، فقال: قيسوا ما بين الأرضَيْن ـ أي: الأرض التي أرادها والأرض التي خرج منها ـ فإلىٰ أَيَّتِهِما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره[1].

وفي رواية[2]: «فأوحى الله إلى هذه أن تَقَرَّبِي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفِر له».

وفي رواية[3]: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجُعل من أهلها».

وفي رواية[4] عن الحسن قال: «لما عَرف الموت احتفز بنفسه، فقرّب الله عز وجل منه القرية الصالحة، وباعد منه القرية الخبيثة؛ فألحقوه بأهل القرية الصالحة».

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٠ و٧٢)، والبخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠)، ومسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب التوبة، باب توبة القاتل (٢٧٦٦).

(٢) عند البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠).

(٣) عند مسلم في كتاب التوبة (٢٧٦٦).

(٤) عند الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٠).

وهكذا أَمَرَهُ العالم أن يهجر أماكن السوء وجلساء السوء، إلى أرض يَعبد اللهَ فيها صالحون طيبون، كمن أُصيب بمرض وهو يجلس في بقعة تكثر فيها الأوبئة، فيقال له أولاً: اترك مكان الأوبئة والفساد، وارحل إلى مكان نظيف طيب حتى تشمّ هواء طيباً صافياً، ثم تَعاط بعض الأدوية المناسبة لمرضك، وكما يكون هذا في أمراض الجسم فهو ينطبق على أمراض القلب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾. [هود: ١١٣]

وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: مطهرة عن الدنس والطمث وسوء الخلق، أو أن معنى ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: أصناف من النعيم، منزهة عن المثيل والشبيه.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

ونسأل الله رضوانه الذي لا سخط بعده أبداً، ونسأل الله التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

* **المحاضرة الثالثة:**

في نعيم أهل الجنة المقربين والأبرار

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الجنَّة على ثلاثة أنواع: جنة اختصاص، وجنة أعمال، وجنة ميراث.

* **أما جنة الاختصاص الإلهي:** فهي فضل من الله تعالى يخصّ به من شاء من عباده المؤمنين، ومن هذا الفضل يكون التكليم الإلهي لأهل الجنة، والمناجاة الإلَهية والرضوان الأكبر، ورؤية الله سبحانه وتعالى، وما هنالك من العلوم والمعارف الإلَهية، كل ذلك يناله أهل الجنة من طريق الجنة الاختصاصية.

* **وأما جنة الأعمال** فإنّ مراتبها ومنازلها على عدد شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

فالمؤمن في الجنة يتنعم بما تحقق به من شعب الإيمان، فيلقى أولاً نعيم الاعتقاد بـ لا إله إلَّا الله، والتحقق بمعناها وآثارها، ويتنعم أيضاً بأعماله الإيمانية التي عملها في الدنيا من: صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وهكذا بجميع شعب الإيمان التي تحقق بها.

وإن التنعم بثواب الأعمال في الجنة لا يكون على نسبة واحدة، بل على نسبة العمل والإخلاص فيه لله تعالى، ومِنْ هذا تعلم أنَّ جنة الأعمال تختلف باختلاف الأعمال واختلاف العمّال، وليتضح لك ذلك فاعلم: أنك إذا تحققت بـ لا إله إلّا الله، وأنَّ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قد تحقق بـ لا إله إلَّا الله، ولكن شَتَّانَ بين تحققك بـ لا إله إلَّا الله، وفهمك لها، وبين تحقق الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بها وفهمه لها ولمعانيها وآثارها.

ولذلك كان النعيم في الجنة على مراتب؛ لاختلاف المؤمنين في مراتبهم ومقاماتهم الإيمانية، ولا يمكن لأحد من أهل الجنة، أن يكون في مرتبة الآخر من كل وجه، وذلك لاختلاف درجات إيمانهم وأعمالهم وإخلاصهم في الدنيا.

واعلم أن لكل منزلة من هذه المنازل الجِنَانية فروعاً تتفرع عنها، كما أن لكل شعبة إيمانية خوخات ومنازل ودرجات وقصوراً وميادين.

واعلم أنَّ الله تعالى قد خَلق الجنان وأعدّها لعباده المتقين قبل أن

---

(١) تقدم تخريجه ص(٢٨).

يخلق الخلق، إلا أن الغِراسَ والبناء التي يكون فيها يُخلق في جنة الأعمال شيئاً بعد شيء على حسب أعمال المؤمن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها. قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها. قال: فرجع إليه قال: فَوَعِزَّتك يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها - أي: لأن فيها من ألوان النعيم ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلا يسمع بها أحد إلا سعى لدخولها -.

فأمر بها فحُفَّت بالمكاره - أي: التكاليف الشرعية التي فيها مشقة على النفس، وتكرهها النفوس الضعيفة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] - فقال: ارجع إليها فانظر ماذا أعددتُ لأهلها فيها. قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفّت بالمكاره، فرجع إليه سبحانه فقال: وعزَّتك لقد خفت ألَّا يدخلها أحد.

قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها. فأمر بها فحفَّت بالشهوات - أي: طوّقها بالأمور التي تهواها النفوس - فقال سبحانه: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزَّتك لقد خشيت ألَّا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في خَلْقِ الجنة والنار (٤٧٤٤)، والترمذي - واللفظ له - في كتاب صفة الجنَّة (٢٥٦٣)، والنسائي في أول كتاب الأيمان والنذور (٧/٣-٤).

فمن أتبع نفسه هواها، وحقق لها شهواتها المحرمة دخل النار، ومن اقتحم عقبة المكاره الشرعية، وقام بها بعزم وجدّ دخل الجنة.

واعلم أن مقامات أهل الجنَّة تختلف على اختلاف قوَّة إيمانهم ومراتب أعمالهم الصالحة وعلمهم، لكن مقاماتهم من حيث الجملة إنما هي ما بين المقربين والأبرار.

وإن كان كلّ من الأبرار على مراتب مختلفة، وكذلك المقربون على مراتب.

وأقرب المقربين إلى الله تعالى هم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، وأقربهم من الله تعالى وأعظمهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقال للأبرار: أصحاب اليمين والمقتصدون، ويقال للمقربين: السابقون.

وقد ذكر سبحانه ألواناً من النعيم للأبرار، وألواناً من النعيم للمقربين، وبيَّن الفرق بينهما في الرتبة والمقام والنعيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦].

فالأبرار: جمع بارّ، وهم الذين برّوا وعملوا بأعمال البِرِّ، وهذا دليل على سعة خيرهم وأعمالهم، إذ إنَّ هناك تناسباً بين البِر والبَر، يعني: أن الأبرار عملوا أعمالاً تكاد تملأ البراري في سعتها وكثرة خيرها، وأما المقرب فخير عمله وسعته تملأ البر والبحر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: من كأس خمرة جنانية، لا خمرة دنيوية تؤلم الرأس وتذهب بالعقل، وإنما هي خمرة رحمانية تبعث في شاربها الصحو والنشاط واليقظة.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: لقد مُزجت هذه الخمرة بشيء من كافور الجنة. وإذا كان كافور الدنيا ينعش القلب الجسماني الصوري، فما بالك بكافور الجنة؟!! فهو ينعش القلب الروحاني الرباني، إذ إنّ أهل الجنة في الجنة لا تصيبهم الأمراض والآفات، بل يُقال لهم لمّا يدخلون الجنة: «إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تَحْيَوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] [الأعراف: ٤٣].

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: هذا الكافور الجناني الذي مزجت خمرة الأبرار بشيء منه، إنما هو عين صرف خالصة يفجرها المقربون حيث شاؤوا، ويشربون منها خالصة بدون مزجها بشيء آخر، وذلك لقوة استعدادهم ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: يشربون منها ويتنعمون ويمتلئون بها.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ في أيّ مكان أرادوه من قصورهم وحدائقهم وهكذا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٩٥)، والإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة (٢٨٣٦)، والترمذي في كتاب التفسير (٣٢٤١) عن سيدنا أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وقد أعطاهم الله تعالى هذا التصرف، وعلَّمهم أسماء إلّهية يتصرفون بها بإذن الله تعالى، ثم قال سبحانه بعد آيات من السورة الكريمة: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ أي: يطاف على الأبرار ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

أما المقربون فيسقون من آنية من ذهب كما دلّت عليه آية أخرى.

فالآنية هي للطعام، وأما الأكواب فهي للشراب، وهذه الآنية والأكواب الفضية هي في شفافيتها ولمعانها كالزجاج الصافي النقي، بحيث يُرى ما في داخلها من الشراب مع أنها من فضة برّاقة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: قدرتها ملائكة الله تعالى للأبرار، بحيث إنَّ كلاً منهم يشرب كوباً على حسب نسبته، فقد قدروها للشراب والسقيا على حسب استعداد الشارب، فمنها الكبير والأكبر والأصغر وما بين ذلك. ثم إنَّ الشراب الذي أُعد للأبرار قد هُيئ في أكوابه على حسب استعداد الشاربين ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: ويَشرب الأبرار كأساً من خمر ممزوج بشيء من الزنجبيل، وهذا الزنجبيل إنما هو ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ يشرب بها المقربون صرفاً خالصاً دونما مزج لقوة استعدادهم.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

أما الظالم لنفسه فهو: الذي يفعل بعض الأوامر الشرعية ويترك بعضها، وقد يقع في بعض المخالفات الشرعية.

وأما المقتصد فهو: البَر، ويقال عنهم: أصحاب اليمين.. وهم الذين لم يرتكبوا حراماً، وإنما عملوا بالواجبات الشرعية دونما زيادة كثيرة من النوافل، بل اقتصروا على بعض النوافل، وأخذوا بالمباحات مع اجتنابهم للمحرمات.

وأما السابقون بالخيرات فهم: المقربون الذين عملوا بالواجبات، وزادوا عليها بفعل النوافل والقربات إلى الله تعالى، فلهم الأسبقية على غيرهم في الرتبة والفضل ودخول الجنَّة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقد ذكر السلف رضي الله عنهم أقوالاً كثيرة في صفة أعمال المقربين، وأصحاب اليمين، والظالمين أنفسهم... فمن جملة ذلك:

قالوا: **الظالم لنفسه** هو: الذي قد تفوته بعض الصلوات المكتوبة.

والمقتصد هو: الذي يُصلي الصلاة المكتوبة مؤخِّرَاً لها عن أول وقتها.

والمقرَّب هو: الذي يقوم إلى الصلاة أول وقتها.

ولما سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة في أول وقتها»[1].

والظالم لنفسه هو: الذي لا يصلي مع الجماعة.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات (٤٢٦) ـ واللفظ له ـ والترمذي في كتاب الصلاة (١٧٠) عن السيدة أم فروة أخت سيدنا الصديق لأبيه رضي الله عنهم جميعاً.

والمقتصد هو: الذي يُدرك صلاة الجماعة متأخراً، وقد تفوته بعض الركعات.

والمقرب السابق: هو الذي يحضر صلاة الجماعة من أولها.

وقال بعضهم: **الظالم لنفسه**: قد يدرك صلاة الجماعة متأخراً، ويفوته الوقوف في الصف الأول أو الثاني.

والمقتصد: يدرك الصف الثاني أو الثالث.

وأما **السابق**: فتراه في الصف الأول مع الجماعة.

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه: **الظالم لنفسه** هو: الذي يذكر الله بلسانه وقلبه غافل، **والمقتصد** هو: الذي يذكر الله تعالى بقلبه بلا لسان، مع أنه متمكن من ذلك، **والسابق** هو: الذي يذكر الله ولا ينساه أبداً.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «قال الله عز وجلَّ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ **فأما الذين سبقوا بالخيرات** فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، **وأما الذين اقتصدوا** فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، **وأما الذين ظلموا أنفسهم** فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾»[1].

---

(١) الحديث في المسند (٦/٤٤٤) وعزاه في الدر المنثور إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني، وينظر مجمع الزوائد (٧/٩٥).

وعن عقبة بن صهبان قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

فقالت لي رضي الله عنها: (يا بني كل هؤلاء في الجنَّة، **أما السابق بالخيرات** فَمَنْ مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحياة والرزق، **وأما المقتصد** فمن اتبع أثره من أصحابه حتى يلحق به، **وأما الظالم لنفسه** فمثلي ومثلك).

قال: فجعلت نفسها معنا[1].

وقد قالت هذا من تواضعها رضي الله عنها، ولاشك أنها من أفضل السابقين بالخيرات بإذن الله تعالى، وهذا شأن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أنَّ عليهم صفة التواضع والانكسار لله تعالى، وعدم الترفع والتكبر والعجب والأنانية، فما علينا إلا أن نتأسَّىٰ بأُمِّنا أم المؤمنين رضي الله عنها... فافهم.

وقد ذكر الله سبحانه صفة الفجار، ونعيم الأبرار والمقربين في سورة المطففين فقال جلَّ وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ والفاجر هو الذي فجر؛ بأن شقّ عصا الطاعة، لأن فَجْرَ الشيء شَقُّهُ، فالفجار هم الذين جاوزوا حدود الشريعة، وانتهكوا حدود الله وفجروها.

---

(١) ينظر المستدرك كتاب التفسير (٢/٤٢٦) والمعجم الأوسط للطبراني، ينظر مجمع الزوائد (٧/٩٦)، ومسند الطيالسي (٢٠٩) واللفظ له.

وهناك الفجار في العقيدة، وهم الذين جاوزوا التوحيد والحق، فإما أنكروا الإله، أو جعلوا معه إلهاً، أو نسبوا له ما يستحيل في حقه سبحانه كالولد مثلاً، ويعتبر هذا فجوراً منهم بمعنى شق الصراط المستقيم والخروج عن الحق المبين.

وهناك الفجور العملي، ويقال للأعمال المخالفة للشريعة: فجور، لأن فيها انشقاقاً عن حدّ الاستقامة وعدولاً عن الطريق المستقيم.

وعلى هذا فقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ أي: العقيدة والعمل ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ أي: في سجن قاس وضيق يضيق على صاحبه كل الضيق.

ويقال: **شِرِّير وسِكِّير وسجِّين** مِنْ صيغ المبالغة والشدة، فالسجِّين أولاً يدل على المكان السحيق العميق، كما قال بعض السلف في معنى سجين: أي: أَسفل مكان في الأرض السابعة، والتي هي أصغر الأرضين السبع وأضيقها، وقد جاء ذلك في الأثر أيضاً.

ومن ناحية أخرى فمعنى سجين يدل على المكان الذي تتوالى عليه الكربات والشدائد والغموم والمضايق قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣].

وقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ أي: كتاب أعمالهم وحقائقهم وذواتهم ووجودهم الدنيوي، لأن الكَتْب يدل على الجمع، فجميع الكفار وأعمالهم وذواتهم في سجين.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي: أن أمره شديد لا يُطاق، لأن فيه الضيق والهمّ والكرب والظلمة.

﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ﴾ أي: أن هذا الكَتب لأعمالهم وذواتهم أمر مرقوم مسطّر لا يبدّل ولا يغيّر، لأنه لا قابلية عندهم ولا استعداد لديهم لغير ذلك.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان»؟.

فقلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا.

فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتابٌ من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً».

ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً».

فقال أصحابه: فَفِيْمَ العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يُختم له بعمل أهل الجنة؛ وإنْ عمل أيّ عمل. وإنّ صاحب النار يُختم له بعمل أهل النار؛ وإن عمل أَيَّ عمل».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم بيديه فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد: فريق في الجنة وفريق في السعير»[1].

---

(١) المسند (٢/١٦٧)، وسنن الترمذي كتاب القدر، باب ما جاء أنَّ الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار (٢١٤٢).

قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ وكيف يكذبون بيوم الحساب والجزاء، وأمره معقول مقبول مشروع ؟!!

ولولا يوم الدين لاستوى الظالم والمظلوم، والباغي والمبغيّ عليه، والمحسن والمسيء.

وكيف يكون هذا وقد خلق الله الخلق بالحق وللحق، كما قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] ولذلك لا يُكَذِّب بيوم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾ أي: على غيره ﴿أَثِيمٍ﴾ في نفسه بفجوره.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: أنك إذا تلوت عليه آيات فيها ذكر الآخرة والترهيب من عذاب الله تعالى أعرض واستخفّ بذلك، واستصغر عقلك وقال ما قال من ألفاظ الكفر والإلحاد.

قال سبحانه: ﴿كَلَّا﴾ رداً عليهم وزجراً لهم، فليس هذا القرآن الكريم أساطير الأولين، بل هو كلام ربِّ العالمين، الذي أنزله على سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أنكروا وجحدوا هذا القرآن وما جاء فيه لأنّ قلوبهم مُظلمة.

﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ أي: خيّم على قلوبهم ظلمات أعمالهم السيئة، وشهواتهم البهيمية، فلم تَعد قلوبهم تتشرب حلاوة القرآن الكريم ونوره، وراحت تنكر الحقّ وتجحد به، والرَّيْنُ أشد حَجباً من الغيم الذي يكون للأبرار، وأما الغَيْنُ فيكون للمقربين، وكل واحد من هؤلاء

هو ألطف وأيسر من الذي قبله، وأعظمهم حجباً وظلمة هو الرَّيْنُ الذي هو صفة البغاة والطغاة والمعاندين الكافرين.

فقد رانت المعاصي والذنوب والمخالفات على قلوب هؤلاء فأظلمتها وحجبتها، كما تَرِيْنُ الخمرة على عقل شاربها، فلا يعرف حقاً ولا ينكر باطلاً، وتراه يخبط في أموره كلها، ولذلك أصبحت قلوب هؤلاء لا تعرف معروفاً؛ ولا تنكر منكراً؛ إلا ما وافق أهواءهم، فإن وافق أهواءهم وشهواتهم استحلوه ورأوه حلالاً، وإن خالف أهواءهم أنكروه وقالوا عنه: حرام.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً ـ أي: تبدأ فتنة وتليها أُخرىٰ وهكذا... ـ فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ـ أي: يزداد نور القلب وإيمانه ـ حتى تصير ـ أي: القلوب ـ على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادّاً ـ أي: فيه شيء من بياض يسير يخالط السواد ـ كالكوز مُجَخِّياً ـ أي: منكوساً ـ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَراً؛ إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاه»[1].

أي: أن هذا القلب كان فيه شيء من الإيمان، فعرضت عليه الفتنة ـ شبهة أو ضلالة ـ فدخلت قلبه واستقرت فيه، واستفرغت ما فيه من

---

(١) الحديث في المسند (٥/٤٠٥)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة (١٤٤) واللفظ له.

الإيمان، كالكأس الذي كان فيه ماء وجاءته ريح عاصف قلبته، وأفرغت الماء الذي كان فيه، وكان أثر ذلك على قلبه أن يقبل ما وافق هواه، وأن ينكر ما خالفه، مستحسناً لآرائه وأفكاره الباطلة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق فتيانكم»؟.

قالوا: يا رسول الله إنَّ هذا لكائن؟.

قال: «نعم وأشد منه. كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؟.

قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟.

قال: «نعم وأشد منه. كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً»[1]؟.

كما هو حال ملاحدة الزمان، إذ يرون المنكر في الشريعة معروفاً عندهم كسفور المرأة والاختلاط معها، ويرون المعروف في الشريعة منكراً عندهم كالزكاة والصلاة والصيام.

فيقال لهؤلاء: إذا كان هواكم يستحسن سفور المرأة مثلاً فإن هوى غيركم لا يستحسن ذلك، فأيُّ هوى نتبعه إذاً؛ وقد تخالفت وتضاربت الأهواء والآراء؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ فالحق إذن لمن يتبع ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم

---

(١) رواه أبو يعلى والطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٠).

﴿بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي: بالقرآن الكريم فيجب عليهم أن يتبعوه ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع ـ أي: رجع وترك الذنب ـ واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه، وإن عاد ـ أي: إلى الذنب ـ زيد حتى تعلو ـ أي: الذنوب ـ قلبه، وهو الران الذي ذكر الله في قوله سبحانه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾»[٢] [المطففين: ١٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للقلب صدأً كصدأ الحديد، وجلاؤها الاستغفار»[٣].

---

(١) هذا الحديث أورده الإمام النووي في الأربعين /رقم ٤١/ وقال: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وينظر كلام العلامة ابن رجب الحنبلي في شرحه على الأربعين.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٩٧)، والترمذي في كتاب التفسير (٣٣٣١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤١٨)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٩٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢/٥١٧) وغيرهم.

(٣) رواه الطبراني في الصغير والأوسط كما في مجمع الزوائد (١٠/٢٠٧) وهو عند البيهقي في الشعب (٦٤٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه. ولفظه: «إن للقلوب صدأً كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار».

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وذلك لأنهم في الدنيا عملوا أعمالاً أظلمت بسببها قلوبهم، وحُجبت بسببها عن رؤية الحق وقبوله، من أجل ذلك كان جزاؤهم في الآخرة أنهم حُجبوا عن ربِّ العالمين، لأنهم حَجبوا قلوبهم عن الله تعالى في الدنيا بسبب ذنوبهم.

واعلم أن أثر الذنب كبير على القلب، وإذا لم يتب العبد من ذنبه جرّه إلى ذنب آخر، وهكذا يفتك فيه كَفَتْكِ المرض الذي إذا لم يعالجه صاحبه في أول أمره ربّما أهلكه. كما أن للذنوب أثراً في المجتمع والجوّ والأرض والبحر، وفي هذا يقول سبحانه ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[الروم: ٤١]

فكما أنَّ كسب الذنوب يُرين على القلوب فيفسدها، وكذلك يؤثر على المجتمع فتفسد الأجواء من حولهم.

ولقد أخبر الله تعالى عن عادته الإلَهية المطردة في تغيير نظام الكون والعالم وإفساده إن فسد الناس وتغيروا فقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ وهو ضد الصلاح.

﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فتضطرب الرياح ويتغير نظام الأمطار، وتكثر العواصف والبراكين والزلازل والأعاصير، كل ذلك بسبب ما كسبته أيدي الناس من ذنوب ومخالفات لأوامر الشريعة.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يخافون ويرجعون إلى الله تعالى ويتوبون؛ فيغير الله تعالى بهم

الحال، لأنه سبحانه كما أخبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وعلى هذا فميزان الأكوان هو الإنسان، فإنْ صلح صلح ما حوله، وإن فسد فسد ما حوله.

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] فلقد قابل الأكوان بنفس الإنسان فافهم.

وعن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه، أنه كان يُحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُرَّ عليه بجنازة فقال: «مستريح ومستراح منه».

قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدوابّ»[١].

كل هذا يدلك على أنَّ الفاجر بفجوره يضرّ المجتمع، وَيُفسد الكون حوله، فعندما يموت تفرح بموته الشجر والدوابّ والأرض والجوّ، لأنه كان سبباً لنزول الغضب الإلهي والمقت.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقد حُجبت قلوبهم عن ربهم في الدنيا بسبب ذنوبهم، فحجبت أبصارهم عن رؤية ربّهم يوم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (٦٥١٢)، ومسلم في الجنائز (٩٥٠).

القيامة. وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، كما قال سبحانه: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [عم: ٢٦].

وسئل الإمام مالك رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: (لما حَجب الله أعداءه فلم يروه؛ تجلَّى لأوليائه حتى رأوه)[١].

وقال: (لو لم يَرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعيِّر الله الكفار بالحجاب)[٢].

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (لما حجب قوماً بالسخط، دلَّ على أن قوماً يرونه بالرضا)[٣].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ فقد عُذبت أرواحهم وقلوبهم، وحرمت من رؤية الله تعالى، ثم عُذبت أجسامهم فانغمسوا في الجحيم، ثم عُذبت أفكارهم وأهواؤهم النفسية فصار يوجّه إليهم التوبيخ والتعنيف.

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: هذا هو جزاء تكذيبكم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنكاركم للقرآن ولأوامر الشريعة، ولقولكم ما هذا إلا أساطير الأولين.

ثم ذكر سبحانه صفة نعيم الأبرار فقال جلَّ وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ أي: أن مجمع أعمالهم وذواتهم وقلوبهم وأفكارهم في عِلِّيِّين.

---

(١) انظر تفسير الخازن لهذه الآية الكريمة.

(٢) انظر تفسير البغوي.

(٣) انظر تفسير القرطبي.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي: أن أَمره عالٍ في الرتبة والمقام والمكانة والمنزلة.

قال بعض المحققين: عِلِّيُّون جمع: عِلِّيٍّ، مما يدل على أن قوله تعالى: ﴿عِلِّيِّينَ﴾ فيه المراتب والمقامات المختلفة، فهناك العلوّ الجسماني، والعلوّ الروحاني، والعلوّ الفكري، والعلوّ القلبي، كل هذا ناله الأبرار فهم في عليين.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ من ملائكة السماوات، كما قال سبحانه: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وإن لكل سماء ملائكتها المقربين، فتعرض أعمال الأبرار على المقربين من الملائكة، والأنبياء عليهم السلام، والأولياء، حتى يُعرِّفوا بها، ويثنوا على صاحبها خيراً، ويضعوا له جزاء مناسباً.

وإن أعظم المقربين وسيدهم هو السيد الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أخبر أنه تعرض عليه أعمال أمته في حياته المباركة، وبعد موته صلى الله عليه وآله وسلم، فعرضت عليه الذنوب والمساوئ، والأجور والمحاسن التي من جملتها القذاة يخرجها الرجل من المسجد:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عُرِضت عليَّ أجور أمتي حتى القذاة يُخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من

القرآن أو آية أُوْتيها رجل ثم نسيها»[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: ظاهر وباطن.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ أي: السُّرر المرتفعة، التي تخيّم عليها الأشجار العالية ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي: نظر نعيم وتلذذ إلى ما في الجنة من ألوان النعيم، وينظرون إلى الكفار يُعذبون في جهنم لترتاح نفوسهم، لأن الكفار كانوا في الدنيا يعتدون عليهم، ويسخرون بهم؛ وينظرون إلى وجه الله تعالى كي تقرّ أعينهم وتطمئن قلوبهم، كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] أي: حلت عليهم بسبب النظر إلى ربّ العالمين سبحانه وتعالى، فيعلوهم الجمال والبهاء والكمال.

فجمع لهم سبحانه الجمال الظاهر والجمال الباطن فقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ وهو الجمال الباطن وقوله جلَّ وعلا: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ هو الجمال الظاهر، ونظيره قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ الجمال الظاهر ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ وهو الجمال الباطن.

وقد أمرنا سبحانه في الدنيا أن نتجمل، ونأخذ بأسباب الجمال الظاهر والباطن فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فأَمَر بجمال الظاهر، وأشار إلى جمال الباطن وأهميته وهو التقوى.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كنس المسجد (٤٦١)، والترمذي في كتاب فضائل القرآن الكريم (٢٩١٧)، وابن خزيمة (٢/٢٧١).

وقال سبحانه في الأبرار: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ أي: هو نوع من أنواع الخمرة الجنانية ﴿مَّخْتُومٍ﴾ أي: بختم رب العالمين، إذ ختمه سبحانه باسم إلهي، أُودع فيه من الخصائص الروحية والمعارف الإلَهية ما تناسب كل شارب؛ حتى يزداد صحواً وعلماً ومعرفة بالله تعالى.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي: يمزج الرحيق الذي يَشرب منه الأبرار بشيء من التسنيم وهو ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: أنّ التسنيم عين يشرب منها المقربون خالصاً دون مزج؛ لقوة استعدادهم وعلوّ مقامهم.

ومعنى ﴿تَسْنِيمٍ﴾: السنام هو المكان العالي، ومنه سنام الجمل، ويقال: سنمت الشيء: إذا رفعته، فعين التسنيم عين لا تجري على الأرض كعين السلسبيل، بل هي عين تتنزل من العرش، وتجري في الهواء، وتأتي على المقربين ويشربون منها، وذلك لقوة ما فيها من الآثار والخصائص العلوية، والعلوم الإلَهية التي تعود على شاربها من المقربين، لأنهم في الدنيا بذلوا النفس والنفيس ابتغاء أن ينالوا أعلى مقام في محبة الله تعالى، والقرب منه، والعلم به سبحانه، ونسأل الله تعالى ذلك من فضله.

واعلم أن صفة المقربين أنهم في سجود دائم لله تعالى، وذلك بأنهم سجدت قلوبهم لله تعالى، ومن سجد قلبه لله تعالى بقي على ذلك أبداً.

ومن صفاتهم: أنهم لا يتعاطون أمراً مباحاً، بل إن كل عاداتهم وأفعالهم عبادة لله تعالى، فهم في أكلهم وشربهم يلاحظون أنهم يَستعينون بذلك على عبادة الله تعالى، وإنْ ناموا كان نومهم عبادة؛

لأنهم يرون فيه تجديد الهمة والنشاط على عبادة الله تعالى، وهكذا...

ومن صفاتهم: أنهم زادوا على فعل الفرائض والواجبات فعل النوافل، وراحوا يتقربون بها إلى الله تعالى من: أعمال، وأقوال، وأخلاق، وآداب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» ولكل مؤمن ولاية مع الله تعالى، والولاية هي: مِنَ الولاء، وهو الحب والمناصرة، **وهناك الولاية العامة** للمؤمنين على حسب قوة إيمانهم، وهي المشار إليها بقوله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآيات [يونس: ٦٢-٦٤].

وأما الولاية الخاصة فهي لأهل القرب والفضل، وقد أشار إليها سبحانه بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾. [البقرة: ٢٥٧]

فالولي: هو الذي بينه وبين الله تعالى ولاء، أي: محبة ومناصرة، فهو يحب الله تعالى والله يحبه، وهو ينصر الله تعالى والله ينصره ويؤيده وهكذا.

وإذا عاديت ولياً من أولياء الله تعالى، أو حملت عليه في قلبك؛ فإن الله تعالى يُعاديك على نسبة وِلاية هذا الولي. فاحذر أن تقع في ولي من أولياء الله تعالى؛ لئلا يكون الله تعالى خصمك.

قال جلَّ وعلا في الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى

أحبه». أي: بالمحبة الخاصة «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[١].

فمن أحب الله تعالى وسعى في التقرب إليه سبحانه بكثرة النوافل نال مقام المحبوبية من الله تعالى، وأخذه الله جلَّ وعلا من نفسه، وتولّاه في كل حواسّه ومداركه وشؤونه بالتولية الخاصّة، ومن ذلك: أنه سبحانه لا يصرف سمعه إلا إلى ما يُحبه جلّ وعلا، ولا يصرف بصره إلّا إلى ما يحبه سبحانه، وهكذا...

ومن ناحية أخرى: كان الله قوة سمعه وقوة بصره وبطشه، وبمقتضى هذا يُسمعه الله تعالى مالا يسمع غيره، ويريه ما لا يُري غيره، ويعطيه من القوة في مداركه ما لا يعطي غيره، وهذا باب كبير تفهم منه سِرّ خرق العادات ونيل الكرامات لأهل الله تعالى وأوليائه المقربين رضي الله عنهم.

ومن ذلك: قول سيدنا عثمان رضي الله عنه لرجل دخل عليه وقد وقع بصره على امرأة أجنبية عنه وهو في طريقه إليه، فقال له رضي الله عنه: (أيدخل عليَّ أحدكم وفي عينيه أثر الزنا)؟!.

فقال الرجل: أَوَحْيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

قال: (لا، ولكن قول حق وفراسة صدق)[٢].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

(٢) كذا في الرياض النضرة (٤١/٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمر رضي الله عنه بعث جيشاً وأمَّر عليه رجلاً يدعى سارية، قال: فقام عُمر يخطب الناس يوم الجمعة، فأقبل يصيح وهو على المنبر: يا ساريةُ الجبلَ؛ يا ساريةُ الجبلَ ـ أي: الزم الجبل مع جيشك ـ فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا صائح يصيح: ياساريةُ الجبلَ. فاستندنا بأظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى)[1].

واعلم أن أعظم من تولاه الله تعالى في سائر حواسّه ومداركه وقواه؛ هو الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال الله تعالى له: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ أي: بالولاية الخاصة التي لم ينلها أحد، ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون»[2]. وهذا بحث كبير يحتاج إلى مؤلفات تذكر خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك.

ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يسمع صوته القريب والبعيد عنه، فصعد صلى الله عليه وآله وسلم مرَّة المنبر ونادى في الناس:

---

(١) كما في دلائل النبوة للبيهقي (٣٧١/٦)، وينظر في كشف الخفا للإمام العجلوني فقد تكلم عنه مطوَّلاً.

(٢) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (١٧٣/٥)، والترمذي في كتاب الزهد من سننه (٢٣١٣)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٢/٧)، والحاكم في المستدرك (٥٤٤/٤ و٥٧٩).

«اجلسوا» فجلسوا، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في حي بني غنم، في أطراف المدينة المنورة؛ على ساكنها أفضل الصلاة وأتمّ السلام، فسمع صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس اجلسوا» فجلس أدباً مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

وفي رواية[٢]: فمرَّ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «ما شأنك»؟

قال: سمعتك تقول: «اجلسوا» فجلست.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «زادك الله طاعة».

وفي غزوة حُنَين قبض صلى الله عليه وآله وسلم قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة؛ فولوا مدبرين، فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنائمهم بين المسلمين[٣].

وكذلك فعل صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر؛ فهي رمية محمدية قوتها إلٓهية؛ كما قال تعالى في الحديث القدسي: «ويده التي يبطش بها».

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الأوسط كما في مجمع الزوائد (٩/٣١٦)، والبيهقي في الدلائل (٦/٢٥٦).

(٢) في مصنف عبد الرزاق في كتاب الجمعة (٣/٢١١)، حديث رقم (٥٣٦٧).

(٣) كما في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (١٧٧٧).

قال: «ورجله التي يمشي بها» فيقطع المسافات الشاسعة في زمن يسير، وأعظم من نال ذلك مِنْ خلق الله جميعاً هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ونسأل الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

*** ** ***

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة الرابعة:

حول توفيق الله تعالى لأهل الجنة للعمل الصالح

* أسباب نيل نعيم الجنة وألوانه:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاعلم أنَّ التوفيق للإيمان وللعمل الصالح الذي يؤهل صاحبه لدخول الجنة، إنما هو بفضل الله تعالى على ذلك العبد، بأن وفقه للإيمان وللعمل الصالح، ثم يتفضل عليه بأن يدخله الجنة، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات: ٧-٨] أي: أن الراشدين هم أولئك الذين حبب الله إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وذلك فضلٌ منه سبحانه عليهم، ونعمة أسبغها عليهم.

وقد يقول قائل: ما دام هذا بالفضل فلِمَ لم يتفضل سبحانه على الكفار بالتوفيق والهداية؟

فيقال له: لقد بيَّن ذلك سبحانه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: والله عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق، ومَنْ فيه قابلية لذلك، وهو حكيم يضع الشيء في موضعه، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١] أي: سميع لمن سأل التزكية مِنَ الله تعالى وسعى في تحصيلها، ولذلك يستحب أن تدعو عند هذه الآية بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها»[1] والله تعالى يجيبك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ودخول الجنَّة أيضاً إنما هو بفضل الله تعالى، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٧١)، والإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٢٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه.

واعلم أن الله تعالى هو أعلم حيث يضع فضله.. قال سبحانه: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣] فهو سبحانه يتفضل بإدخال الجنة على من جاء بالسبب: بأن آمن وعمل صالحاً، فأعدّ نفسه وهيَّأها لأن تكون أهلاً لفضل الله عليها بالجنة، ولذلك بيَّن سبحانه في كثير من الآيات الكريمة أنّ أهل الجنة إنما دخلوها جزاء أعمالهم الصالحة، قال جل وعلا: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤] فهم لمَّا آمنوا وعملوا صالحاً صاروا أهلاً لأن يتفضل الله عليهم ويُدخلهم الجنة.

ولقد أمر سبحانه العباد بالإسراع إلى تعاطي الأعمال التي ينالون بسببها مغفرة الله تعالى، ويدخلون جنته سبحانه ـ أي: بالإسراع إلى الأعمال التي تجعلهم أهلاً لأن يتفضل الله عليهم ـ فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾.

[آل عمران: ١٣٣ـ ١٣٦]

وقد أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته بفعل الخيرات والصالحات، والإسراع إليها، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم بيَّن لأمته أنّ أحدهم مهما اجتهد في طاعة الله تعالى، فليس له على الله حق يُوجب عليه أنْ يدخله الجنة، بل إنه سبحانه وعد الذين آمنوا

وعملوا الصالحات أنْ يدخلهم الجنة بفضلٍ منه عليهم، ورحمة منه بهم؛ نالتهم بسبب أعمالهم، فهم الذين أعدّوا أنفسهم وأهّلوها لنيل فضل الله تعالى عليهم، وذلك بأن آمنوا وعملوا، وليس للعباد حق على الله تعالى واجب، ولكنه سبحانه يوجب على نفسه فضلاً منه وكرماً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن ينجي أحداً منكم عمله».

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة، سَدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدُّلْجة، والقصدَ القصدَ، تبلغوا»[1].

فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بالعمل الصالح، وبيَّن أنَّ فضل الله تعالى ورحمته لا تَنال إلا من آمن وعمل.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «واغدوا وروحوا» أي: ابذلوا جهودكم في طاعة الله تعالى أوقات نشاطكم، وذلك في أول النهار وأول الليل، وعليكم بشيء من قيام الليل، والإدلاج هو: السير في الليل.

«والقصد والقصد» أي: التوسط في العمل، فلا تعملوا أعمالاً فوق طاقتكم، ولا تتكاسلوا ولا تتقاعسوا، بل خذوا من الأعمال ما يتلاءم مع نشاطكم وقواكم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٣) واللفظ له، ومسلم في كتاب صفات المنافقين (٢٨١٦).

عليه وآله وسلم: «إن هذا الدين متين، فأَوْغِلُوا فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[١].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»[٢].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم لأصحابه: «ألا مشمّر للجنة ـ أي: هل من مسرع إليها، لأن من أراد الإسراع في مشيه شمرّ ثيابه ليسهل عليه ذلك ـ فإن الجنة لا خطَر لها ـ أي: لا مانع يمنع عنها لمن شمرّ وأسرع إليها ـ هي ـ وربِّ الكعبة ـ نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مُطَّرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبداً، في حبرة ونضرة ـ والحبرة من: الحبور وهو: جمال الهيئة واللباس والصوت والسماع ـ في دور عالية سليمة بهية».

قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله.

قال: «قولوا: إن شاء الله» ثم ذكر صلى الله عليه وآله وسلم الجهاد وحضّ عليه[٣].

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة... (١٨/٣) وله طرق متعددة عند البزار والحاكم في علومه، وأبو نعيم والقضاعي وغيرهم كما في كشف الخفا وغيره، وله شواهد عند الإمام أحمد في المسند (١٩٩/٣ و٤٢٢/٤)، والبخاري في كتاب الإيمان، باب يسر الدِّين (٣٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم... (٧٨٣).

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٢) وابن حبان في=

واعلم أن النعيم الذي يعود على أهل الجنة ويتنعمون به إنما يكون بسبب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويُسمى هذا اللون من النعيم: **جنة النعيم**، وقد يكون بسبب ميراثهم لأماكن الكفار في الجنة، التي كانت لهم فيما لو كانوا مؤمنين، ويسمى هذا: **جنة الميراث**، وقد يكون بسبب تخصيص الله تعالى لهم بزيادة التفضّل، ويسمى هذا: **جنة الاختصاص**.

قال تعالى في بيان جنة الأعمال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] وهؤلاء هم الصالحون الذين جعلوا قيام الليل شعارهم الذي لا ينفكّ عنهم. والشعار هو: القميص الذي يُلبس على الشعر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1].

= صحيحه في أول باب وصف الجنة وأهلها (٧٣٣٧)، وينظر في الدر المنثور للحافظ السيوطي (٩١/١)، والترغيب للحافظ المنذري في باب بناء الجنة وترابها.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٦٦/٢)، والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنَّة (٣٢٤٤)، ومسلم في أول كتاب صفة الجنَّة (٢٨٢٤) وغيرهم.

وهذا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فهؤلاء لما أخفوا لله عملاً أخفى لهم سبحانه جزاء لا يعلمه أحد.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فهم يتلون كتاب الله جلَّ وعلا قراءة وعملاً بما فيه، لأن معنى ﴿يَتْلُونَ﴾ يتبعون، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢] أي: تبعها.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: يرجون من الله تعالى ثواباً على أعمالهم ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: مقابل أعمالهم. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] وهذا الفضل هو نعيم جنة الاختصاص، الذي يشمل المناجاة الإلَهية، والرضوان الأكبر من الله تعالى، والمكالمة، ورؤية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] أي: زيادة فضل منه سبحانه عليهم، وهو قوله جل وعلا: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟

فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتنجنا من النار»؟

قال: «فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم مِن النظر إلى ربهم تبارك وتعالى».

ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1] [يونس: ٢٦].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة.

فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك.

فيقول: هل رضيتم؟.

فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا مالم تعطِ أحداً من خلقك؟.

فيقول الله تعالى: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟.

فيقولون: يا ربّ وأيٌّ شيء أفضل من ذلك؟.

فيقول الله تعالى: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[2].

وبهذا تقر أعين أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: أكبر عندهم مِنْ كل نعيم نالوه في الجنة. نسأل الله تعالى ذلك من فضله.

واعلم أنه كما تتفاضل الأعمال الصالحة في الدنيا يتفاضل نعيم

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين (١٨١)، والترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٥٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٣٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩)، ومسلم في أول كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٩)، والترمذي (٢٥٥٨).

تلك الأعمال في الجنة، أما سبب تفاضل الأعمال فقد يكون بسبب: المكان، أو الزمان، أو الحال، أو أن هذا العمل هو أعظم عند الله تعالى من غيره.

أما التفاضل بسبب المكان: فقد ورد في الحديث[1] عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة».

كما أن الصلاة في المساجد أفضل من الصلاة في غيرها.

وأما التفاضل بسبب الزمان فمن ذلك: العمل الصالح في شهر رمضان الذي جاء فيه الحديث: «من أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»[2].

وهناك عشر ذي الحجة، والأشهر الحرم التي قال فيها سبحانه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٢] أي: فلا ترتكبوا ذنوباً فيهن، لأن الذنب في الأشهر الحرم أعظم من غيرها، ولا تقصِّروا في فعل الخيرات والطاعات لأنها مضاعفة في هذه الأشهر.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشر» أي: عشر ذي الحجة.

---

(١) الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٤٠).

(٢) طرف من حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٨) عن سيدنا سلمان رضي الله عنه.

قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟

قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله؛ فلم يرجع من ذلك بشيء»[1].

وكذلك يوم الجمعة الذي قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم عليه السلام،وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإنَّ صلاتكم معروضة عَلَيَّ».

قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أُرِمْتَ. أي: يقولون: قد بليت.

قال:«إن الله تعالى قد حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[2].

وقد يضاعف العمل بسبب الحال: فالصلاة في الجماعة تَفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق (٩٦٩)، وأبو داود في كتاب الصوم، باب صوم العشر (٢٤٣٨)، والترمذي في كتاب الصوم (٧٥٧) واللفظ له، وابن ماجه (١٧٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٨)، وأبو داود في كتاب الصلاة، أول باب تفريع أبواب الجمعة (١٠٤٧). وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٠٧) وغيرهم. عن سيدنا أوس بن أوس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة (٦٤٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٠).

وهناك التفاضل في نفس الأعمال وحقائقها، ومن ذلك مثلاً: الصلاة فهي أفضل من غيرها من الأعمال:

فعن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أنَّ مِنْ أفضل أعمالكم الصلاة، ولا يُحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[(١)].

ولذلك تتفاضل ألوان النعيم في جنة الأعمال على حسب تلك الأعمال وتفاضلها، وإنّ عدد مراتب جنة الأعمال ودرجاتها ومقاماتها هو على عدد شعب الإيمان ـ أي: بضع وسبعون ـ كما جاء بيان ذلك في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[(٢)].

ولكل شعبة فروع تتفرع عنها، وإذا لم يتمكن المؤمن من تحقيق جميع شعب الإيمان؛ بل حقَّق بعضها وترك بعضها لعذر شرعي، وَدلَّ وعلَّم غيره فِعْلها؛ فهو يتنعّم بتلك الشعبة كأنه فعلها وتحقّق بها، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الدالّ على الخير كفاعله»[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٧ و٢٨٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها (٢٧٧ و٢٧٨) وغيرهما.

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٣٥٧) عن سليمان بن بردة عن أبيه رضي الله عنهما، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء: الدال على الخير كفاعله (٢٦٧٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وفي الحديث: «مَنْ سن في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده؛ من غير أن ينتقص من أجورهم شيء»[1].

ومما يدل على أنَّ نفس العمل الذي يعمله المؤمن في الدنيا يكون له نعيماً في الجنة، ما جاء في الحديث[2]، عن أبي بُريدة رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بلالاً فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنَّة؟ما دخلت الجنة قط إلّا سَمِعْتُ خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟

قالوا: لرجل من العرب.

قلت: فأنا عربي لمن هذا القصر؟

قالوا: لرجل من قريش.

فقلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟

قالوا لرجل من المسلمين من أمة محمد ﷺ.

قلت: أنا محمد؛ لمن هذا القصر؟

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٣٦١/٤) والإمام مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة (١٠١٧)، والإمام الترمذي في كتاب العلم، باب فيمن دعى إلى هدى (٢٦٧٧) عن سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٣٦٠/٥)، والترمذي في كتاب المناقب باب (٥٠) حديث رقم (٣٦٩٠)، والحاكم في المستدرك (٣١٣/١)، وينظر في مصابيح السنة (٤٥٤/١).

قالوا: لعمر بن الخطاب».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا غيرتك يا عمر لدخلت القصر».

فقال: يا رسول الله ما كنت لأغار عليك.

قال: وقال لبلال: «بم سبقتني إلى الجنَّة»؟

قال بلال: يا رسول الله ما أذَّنت قطُّ إلَّا وصليت ركعتين، وما أصابني حدثٌ قطّ إلا توضأت عندها؛ ورأيت أن لله عليَّ ركعتين.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بهما» أي: بهذا العمل نلت هذا المقام، وهو أن تمشي بين يديّ في الجنة، لأن معنى تقدم بلال رضي الله عنه، وأسبقيته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو من باب تقدم الخدم بين يدي الأسياد، تعظيماً وتكريماً، واحتراماً وتأهباً، وإلَّا فإنَّ كل عمل لبلال رضي الله عنه وكل أعمال أمته صلى الله عليه وآله وسلم هي بفضله وبسببه صلى الله عليه وآله وسلم وفي صحيفته. فافهم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أنَّ الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان ـ أي: واسعة جداً ـ وأنَّ غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[1].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٠) رقم /٣٤٥٨/، والطبراني في معجمه الصغير والأوسط، ينظر مجمع الزوائد (٩١/١٠).

أما جنة الميراث: فهي جنة يتنعم بها أهل الجنة بالإرث، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والإرث هو: انتقال الشيء من ملك فلان إلى ملك غيره، فلقد ورث أهل الجنة أماكن الكفار في الجنة التي كانت لهم فيما لو كانوا مؤمنين. وذلك لأن كل عبد له مقعد في الجنة ومقعد في النار، فإنْ آمن العبد دخل الجنة وأخذ مكانه، وورث أمكنة غيره من الكافرين على حسب إيمانه.

وذكر الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: قال: ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزلة، فإذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ؛ رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال: يا أهل الجنة رِثُوهم بما كنتم تعملون. فيقسم بين أهل الجنة منازلهم[1].

وروى الإمام مسلم رضي الله عنه[2] عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم».

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم لهذه الآية الكريمة، والرازي، والطبري، والقرطبي، والدر المنثور للسيوطي.

(٢) الحديث في المسند (١٢٦/٣)، وفي صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (١٣٣٨)، وصحيح مسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت (٢٨٧٠).

قال: «يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل»؟

قال: «فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله».

قال «فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار؛ قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة» ـ أي: وهذا المقعد في النار هو الذي كنت ستدخله فيما لو كنت لم تؤمن ـ قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فيراهما جميعاً».

قال قتادة: (وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويُملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون).

وأما منازل المؤمنين في النار والتي كانت لهم فيما إذا لم يكونوا مؤمنين، فهذه المنازل يَدْخلها خلق يخلقهم الله تعالى لها من نيّات الكافرين، وهم قوم يقدّمهم الله إلى النار.

وفي الحديث[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل مِنْ مزيد؟ حتى يَضع ربُّ العزة تبارك وتعالى فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط».

وإنّ أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يكشف لهم عن مقاعدهم من النار، بحيث لو لم يكونوا مؤمنين لدخلوها، فيشكرون الله تعالى على فضله عليهم، وعلى نعمته سبحانه.

---

(١) عند الإمام أحمد في المسند (٣/٢٣٤) ـ واللفظ له ـ والبخاري في كتاب التفسير (٤٨٥٠)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٧)، والترمذي في كتاب التفسير (٣٢٦٨).

وكذلك يكشف للكافرين وهم في النار عن مقاعدهم من الجنة؛ التي كانوا سيدخلونها فيما لو كانوا آمنوا، وذلك ليزدادوا حسرة وألماً. ونسأل الله تعالى العافية والسلامة.

روى الإمام أحمد في مسنده[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني، فيكون عليهم حسرة».

قال: «وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني، قال: فيكون له شكراً».

وقال الله تعالى في ذكر جنة الميراث: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧-٧٣].

فقد بيَّن سبحانه في هذه الآية الكريمة أن كل خِلَّة في غير الله تعالى فإن مآلها إلى الانقطاع والتباغض والعداوة؛ إلا خلة المتقين ومحبتهم، الذين اتقوا غير حب الله تعالى، ولم يحبوا أحداً في غير الله، وتحققوا بالخلة والمحبة في الله تعالى؛ هذه الخلة دامت لهم في القبر والحشر وعلى الصراط وفي الجنة.

---

(١) (٥١٢/٢).

وقال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه في هذه الآية الكريمة: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، توفي أحد المؤمنين فَبُشِّر بالجنة فذكر خليله فقال: اللهم إنّ خليلي فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن السوء، وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تُضلّه بعدي حتى تُريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني.

فيقال له: اذهب، فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً.

ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال: لِيُثْنِ كلٌّ منكما على صاحبه.

فيقول كل منهما لصاحبه: نِعْم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل.

وإذا مات أحد الكافرين بُشِّر بالنار، فيذكر خليله فيقول: اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرّ وينهاني عن الخير، وينبئني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت عليّ.

فيموت الآخر، فيجمع بين أرواحهما فيقال: لِيُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه.

فيقول كل منهما لصاحبه: بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل[1].

(١) عزاه في الدر المنثور إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وشعب الإيمان للبيهقي (٧/٥٦) رقم (٩٤٤٣) وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: اعتقاداً وتصديقاً ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ أي: مستسلمين لأوامر الله تعالى قائمين بها.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله عز وجلَّ يُعطي الدنيا مَنْ يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدِّين إلا لمن أحب، فَمَن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يُسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه».

قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟

قال: «غشمه وظلمه»[1] الحديث.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ أي: أصنافكم، ويشمل هذا الزوجة المؤمنة ﴿تُحْبَرُونَ﴾ من الحبور، وهو السرور، أي: تسرون بأنواع المسرات ومن الحبرة أي: الزينة والكمال، فيعلوهم الجمال والبهاء والكمال.

وكذلك ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تسمعون الغناء المحبر كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أي: يسمعون الغناء المطرب كما يقال: حَبّر له صوته أي: جمّله، وذلك الطرب الجناني يُنعش الروح والقلب في حبّ الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ أي: يقدم لهم دائماً.

﴿بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ أي: أوانٍ كبيرة فيها أنواع من المآكل

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٨٧/١) والحاكم في المستدرك (١٦٥/٤).

﴿وَأَكْوَابٍ﴾ للمشارب المتنوعة، وصحاف: جمع صحفة، وأكواب: جمع كوب، وكل منها حوى ألواناً وأشكالاً من الطعام، وكلها مصنوعة من ذهب الجنة العالي ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ من المشتهيات الطيبة، لأن الجنة لا يدخلها إلا طيب كما في الآية: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا﴾.

وعن بريدة رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنِ الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تُحملَ فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت».

قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟

قال: فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه، قال: «إنْ يُدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك، ولذت عينك»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن إذا اشتهىٰ الولد في الجنة كان حمله ووضعه في ساعة واحدة كما يشتهي»[2].

قوله تعالى: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: (ولا تلذ عين ـ أي: عين المؤمن ـ في الدار الباقية إلا بالنظر إلى الباقي جل وعزَّ)[3].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة خيل الجنة (٢٥٤٦).

(٢) الحديث في المسند (٣/٩ و٨٠)، وسنن الترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٦٦)، وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣٣٨) وغيرهم.

(٣) انظر تفسير الآلوسي لهذه الآية الكريمة.

ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1] لأن الصلاة صِلَةٌ بين الله تعالى وبين العبد المصلي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: أنتم رتبة ومقاماً، وروحاً وجسماً وعقلاً، أنتم بكل هذا قد نلتم صفة الخلود، وإن العقل الخالد الباقي يختلف في تعقّل الأمور عن العقل الفاني، وكذلك السمع الباقي الخالد والبصر الباقي، وهكذا سائر الحواسّ والمدارك فلها الخصائص الكبرى والميزات العالية.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ينادي مناد ـ أي: في أهل الجنة ـ إنّ لكم أنْ تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] [الأعراف: ٤٣].

وإن أهل الجنة يترقّون في المراتب والمقامات وفي ألوان النعيم،

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٢٨٥) والنسائي في أول كتاب عشرة النساء (٧/٦١)، والحاكم (٢/١٦٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) الحديث في المسند (٣/٩٥)، وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٧)، وسنن الترمذي كتاب التفسير (٣٢٤١)، عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وكذلك يشعرون بالترقي في أبدانهم وعقولهم وأفكارهم وأرواحهم، ولولا ذلك الترقّي لملّوا من تكرار النعيم عليهم، إلا أنّ إمدادات الحق سبحانه لهم متوالية مستمرة، وتجلياته عليهم متجددة متنوعة، وليست متكررة، وهذا المعنى مستفاد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث السابق: «أن تصحّوا» أي: يزدادون في ترقّيهم في الصحة، «وأن تشبّوا» فيزدادون في شعورهم بنشاط وقوة الشبوبية، «وأن تنعموا» أي: يزدادون في ترقياتهم في ألوان النعيم المتجدد وهكذا.

ونسأ الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

** ** ** ** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة الخامسة:

حول عالم الجنة

صفات أهل الجنة ـ نعيم الجنة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الكلام حول نعيم الجنة يتضمن أموراً كثيرة نذكر طرفاً منها:

*** أولاً: الخلود في الجنة:**

إنَّ من جملة نعيم أهل الجنة أن الله تعالى يعطيهم فيها ما تشتهي أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] وقال سبحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

فقد أخبر سبحانه في كثير من الآيات عن خلود أهل الجنة في الجنة، وعن خلود أهل النار في النار، وجاء في ذلك أحاديث كثيرة منها: ما رواه الشيخان، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، وأهل النار حزناً إلى حزنهم»[١].

وفي رواية[٢]: «يُدْخل الله أهل الجنة الجنة، ويُدْخِلُ أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنَّة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟

فيقولون: نعم هذا الموت؛ وكلهم قد رآه.

ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟.

فيقولون: نعم هذا الموت؛ وكلهم قد رآه.

فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٠).

(٢) عند البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٤٤)، وصحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٠).

ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ ـ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ـ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

وفي رواية الترمذي[٢]: «إذا كان يوم القيامة أُتِيَ بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجنة والنار فيذبَحُ وهم ينظرون، فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟

فيقول: نعم. فيقول سبحانه: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: ألَّا تشرك بي»، أحسبه قال: «ولا أدخلك النار؛ فأبيت إلا الشرك»[٣].

وفي رواية[٤]: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان

---

(١) كما في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن (٤٧٣٠)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٩).

(٢) في كتاب صفة الجنة (٢٥٦١).

(٣) كما في المسند (١٢٩/٣)، وصحيح البخاري أول كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٣٤) وكتاب الرقاق، وصحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (٢٨٠٥).

(٤) عند الإمام أحمد في المسند (٢١٨/٣)، والبخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (٦٥٣٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب طلب الكافر الفداء (٢٨٠٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنتَ سُئلتَ ما هو أيسر من ذلك».

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً - وفي رواية: عرضها - للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»[١].

وفي رواية الترمذي[٢]: «إن في الجنة لخيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين. يطوف عليهم المؤمن».

*** ثانياً: درجات الجنة:**

وأما درجات الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مائة عام»[٣].

وروى الإمام الترمذي وصححه[٤]، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى

---

(١) ينظر صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٢٤٣) وكتاب التفسير (٤٨٧٩)، وصحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٨)، وسنن الترمذي أول كتاب صفة الجنة (٢٥٣٠).

(٢) أول كتاب صفة الجنة (٢٥٣٠).

(٣) كما في سنن الترمذي أول كتاب صفة الجنة (٢٥٣١).

(٤) في كتاب صفة الجنة (٢٥٣٢).

الجنة وأوسطها، وفوق ذلك عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس».

ولما كان الفردوس أعلى الجنة، ولا يناله إلا المؤمن الكامل ذو العمل الصالح، فإن في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فسلوه الفردوس» أي: بأن تكونوا أهلاً له بكثرة الطاعة والأعمال الصالحة، وفي هذا شحذ للهمَّة نحو الأعلى، كما أن فيه تضميناً لسؤال الله تعالى التوفيق والعون على الطاعة والعمل الصالح، حتى يصير المؤمن أهلاً لدخول الفردوس.

وإلى هذا أشار صلى الله عليه وآله وسلم للصحابي الجليل: ربيعة ابن كعب الأسلمي رضي الله عنه، الذي سأله مرافقته في الجنة، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»[1] أي: بالطاعة والصلاة لله تعالى حتى تصير أهلاً لذلك.

*** ثالثاً: أشجار الجنة وظلالها:**

روى البخاري والترمذي، عن سيدنا أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن شئتم فاقرؤوا ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾»[2] [الواقعة: ٣١-٣٢].

---

(١) الحديث في المسند (٥٩/٤)، وصحيح مسلم كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٩)، وينظر مجمع الزوائد (٢٤٩/٢) وللحديث قصة نافعة.

(٢) البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة... (٣٢٥١)، والترمذي في تفسير سورة الواقعة (٣٢٨٩)، وهو عند الإمام أحمد (٤٣٨/٢)، والبخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

قال أبو حازم: فحدثت به النعمان بن أبي عياش فقال: حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكبُ الجوادُ المضمرُ السريعُ مائة عام وما يقطعها»[1].

والجواد المضمّر هو الذي مُرِّن على الجري والسباق، وذهب رَهَلُهُ وقوي لحمه وخفَّ.

وروى الإمام مسلم[2]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجَوادَ المُضمّرَ السريعَ مائة عام ما يقطعها».

وزاد الترمذي في روايته[3]: «وذلك الظل الممدود».

وروى الترمذي بإسناد حسن[4]، عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٥٢ و٦٥٥٣)، ومسلم في كتاب الجنة... (٢٨٢٧ و٢٨٢٨).

(٢) في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٢٨).

(٣) أول كتاب صفة الجنة (٢٥٢٦).

(٤) في أول كتاب صفة الجنة (٢٥٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٩/٢٥٠) رقم (٧٣٦٧).

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب».

وروى الإمام البخاري[1] رضي الله عنه، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب».

وفي رواية: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب فيها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، ولغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[2].

وروى الإمام الترمذي بإسناد صحيح[3]، عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَغَدْوَةٌ في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده ـ وفي رواية[4]: «أو موضع قده» يعني: سوطه ـ في الجنة خير من الدنيا وما

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٢) رواه البخاري أول كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الغدوة والروحة في سبيل الله (٢٧٩٣).

(٣) في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله (١٦٥١)، وهو عند الإمام أحمد (٣/١٤١).

(٤) عند الإمام أحمد (٣/١٤١).

فيها، ولو أنَّ امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولَمَلَأت ما بينهما ريحاً، ولَنَصِيفُهَا ـ أي: خمارها ـ على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

وفي رواية[1]: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ـ وفي رواية[2]: «ولأذهبت الشمس والقمر» ـ ولملأته ريحاً».

وإنَّ من صرعته دابته في سبيل الله فمات فهو شهيد، وكذا من أتاه سهم غَرْب فقتله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾»[3] [آل عمران: ١٨٥].

*** رابعاً: بحار الجنة وأنهارها ـ شراب أهل الجنة:**

روى الإمام الترمذي بإسناد صحيح[4]، عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في

---

(١) عند الإمام البخاري في كتاب الجهاد، باب الحور العين وصفتهن (٢٧٩٦).

(٢) عند الطبراني والبزار، وينظر مجمع الزوائد (٤١٧/١٠).

(٣) هذا نص الترمذي في كتاب التفسير (٣٠١٧) وله شاهد عند الإمام أحمد (٤٣٨/٢)، وعند البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة (٣٢٥٠).

(٤) في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة (٢٥٧٤)، وهو عند الإمام أحمد في المسند (٥/٥)، وابن حبان (٧٣٦٦)، والدارمي (٣٦٧/٢).

الجنة بحرَ الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد».

أما بحر الخمر فيشرب منها أهل الجنة وهي كما أخبر سبحانه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧] فلا يجدون فيها لغواً ولا تأثيماً كما هو حال خمرة الدنيا، التي تورث اللغو في الكلام، والإثم في العمل.

وقال جلَّ وعلا: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [سورة القتال: ١٥].

ومعنى: ﴿لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ أي: أنه في أحسن حالاته، وأنفع صوره، فرؤياه مريحة وطعمه لذيذ، وفوائده عظيمة، والماء الصافي هو الذي يتمتع به المتقون بجريانه من تحتهم كما قال سبحانه: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الكهف: ٣١] ويتمتعون به شراباً طهوراً.

وإنّ المؤمن يعرف المتعة بهذه المشروبات عندما يعرف حال أهل النار وذلّتهم، عندما يستغيثون بأهل الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله، وهؤلاء قال سبحانه فيهم: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

❊ خامساً: للمؤمن في الجنة ما تشتهي نفسه:

لقد أعدّ الله تعالى لعباده الصالحين في جنته ما تشتهيه أنفسهم،

وما تكتمل به متعتهم من: مأكولات، ومشروبات، ومرئيَّات، وجوانب نفسية من الأمان والاطمئنان، والرضوان الأكبر من الله تعالى عليهم، وقد جاءت أوائل سورة الواقعة تخبر بذلك.

وعن بريدة رضي الله عنه، أنّ رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هل في الجنة مِنْ خيل؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنِ الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تُحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت».

قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟

قال: فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه، قال: «إنْ يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[(١)].

*** سادساً: نعيم الجنة: ألوانه ـ مراتبه:**

يجب على المكلف الإيمان بالجنة وأنها حق، فقد كان من دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قيام الليل: «اللهم لك الحمد أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، قولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق»[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩٣).

(٢) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٨/١)، والبخاري في أول كتاب التهجد (١١٢٠)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل (٧٦٩).

ويجب الإيمان بأنها مخلوقة، وقد خلقها الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم أُدْخِلْتُ الجنة»[1] وهي عند سدرة المنتهى، التي ينتهي إليها ما دونها ويحطُّ عندها ما فوقها، قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٤-١٥].

واعلم أنَّ عالم السدرة ينتهي عنده عالم الفناء، وجميع العوالم فوقها تتصف بالبقاء.

ثم يجب الإيمان بأن الجنَّة تشمل على جميع أنواع النعيم، فهناك النعيم الجسماني والسمعي والبصري، وهناك النعيم الروحاني والعقلي والفكري.

واعلم أن نعيم الدنيا من مأكل ومشرب وملبس إنما هو نعيم مؤقت جزئي، يتمثل في دفع الآلام والشدائد التي تعتري الإنسان، فهو يأكل ليدفع عنه ألم الجوع، ويشرب ليدفع عنه مرارة العطش، ويلبس ليواري سوْءَته، أما نعيم الجنة فهو النعيم الحقيقي، فإنَّ أهل الجنة يأكلون لا عن جوع، ويشربون لا عن عطش، ويلبسون لا عن عري، ويتلذذون لا عن آلام تعتريهم؛ ولهذا قال الله تعالى لآدم لمَّا أسكنه الجنة[2]: ﴿إِنَّ

---

(١) طرف من حديث الإسراء الطويل وهو عند الإمام أحمد في المسند (٥/١٤٤)، والبخاري أول كتاب الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١٦٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) وهذا يدل على أن الجنة التي أسكنها الله تعالى لآدم عليه السلام إنما هي جنة المأوى على الحقيقة، ولو كانت غيرها من الجنان لما قال سبحانه لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ الآية، لأنّ هذا من نشأة جنة المأوى.

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩] أي: أنك تأكل لا عن جوع، وتشرب لا عن عطش، وتلبس لا عن عري وبرد، وإنما للتحلي والزينة.

❊ سابعاً: نسبة نعيم الدنيا إلى نعيم الجنة:

لقد بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ نعيم الدنيا الجسماني بأنواعه كلها لا يعادل أقل نعيم في الجنة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟

فيقول: لا والله يا رب.

ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟

فيقول: لا والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[(١)].

❊ ثامناً: أقل نعيم في الجنة لا تعادله الدنيا ولا أمثالها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب[(٢)] قوس أحدكم في الجنة أو موضع قيد ـ يعني: سوطه ـ خير من

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٢٠٣)، والإمام مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صَبغ أنعم أهل الدنيا (٢٨٠٧)، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الزهد (١٩/١١٤) حديث رقم (٣٥٥٤١).

(٢) أي: الموضع الذي يشغله القوس.

الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولَنَصِيفُهَا[1] على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[2].

* تاسعاً: طيب رائحة الجنة:

إنَّ أهل الجنة يشمون رائحة الجنة من مسافات بعيدة، وكل منهم يشم على حسب قوة إيمانه وعرفانه.

فمنهم من يشم من بُعد مائة عام.

ومنهم من يشم من بعد خمسمائة عام.

ومنهم من يشم من بعد ألف عام.

وجميع هذا واردٌ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك من يشم رائحة الجنة وهو في الدنيا؛ وهم أهل الكمال والصِّدِّيقون.

وإن الحكمة من شمّهم لرائحتها أنْ تزداد همتهم ونشاطهم للسير إليها، لأن هذا الشمّ يأخذ بجذور قلوبهم وأرواحهم إليها.

أما شم رائحة الجنة في الدنيا لأهل العنايات، فقد ورد في الحديث[3]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عمي أنس بن

---

(١) أي: خمارها الذي تضعه على رأسها للزينة لا للحجاب.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٣.

(٣) الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٣/١٩٤)، والبخاري في كتاب الجهاد والسير (٢٨٠٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠٣)، والترمذي في كتاب التفسير (٣١٩٩).

النضر رضي الله عنه ـ سُمِّيْتُ به ـ لم يشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَكَبُرَ عليه فقال: أَوَّلُ مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غبت عنه، أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما بعد ليريَنَّ الله ما أصنع ـ أي: من الإقدام والجهاد ـ.

قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد من العام القابل، فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: يا أبا عمرو أين؟

قال: واهاً لريح الجنة، أجدها دون أحد. فقاتل حتى قتل، فَوُجِدَ في جسده بضع وثمانون: بين ضربة وطعنة ورمية؛ وذلك لكثرة جروحه.

فقالت عمتي الرُّبَيِّعُ بنت النضر رضي الله عنها: فما عرفت أخي إلا بِبَنَانِهِ، ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أما المؤمنون فيشمون رائحة الجنة على الصراط أو قبله على حسب إيمانهم، ولا يُحرم رائحة الجنة إلا من حُرم ذلك بسبب ذنوبه؛ كعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وإدمان الخمر.

روى الإمام مسلم في صحيحه[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: صنفان من أهل النار ـ وفي رواية[2]: «من أمتي» ـ لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون

---

(١) في كتاب اللباس والزينة (٢١٢٨)، وهو في المسند (٢/٣٥٦ و٤٤٠).

(٢) في المسند (٢/٤٤٠).

بها الناس ـ أي: ظلماً وبغياً ـ **ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها؛ وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**.

ومعنى: «كاسيات عاريات» أي: كاسيات بنعم الله تعالى عاريات من شكر الله، أو كاسيات بعض الجسد عاريات البعض الآخر، أو كاسيات بالظاهر عاريات على الحقيقة؛ لأن لباسهن شفاف يجسّم ما تحته.

«مميلات» أي: للرجال بالفتنة «مائلات» أي: عن الحق.

«رؤوسهن كأسنمة البخت» أي: كأسنمة الجمال في كبرها إما بالمقامع، أو بوصل شعرها بشعر غيرها، أو بأنواع من الفسق والسفور...

وقد جاءت أحاديث أخرى بيَّنت الكناية العددية في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»[(١)].

وفي الحديث الآخر[(٢)]: «وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام».

وفي الحديث[(٣)]: «إن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله

---

(١) المسند (٥/٤٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/١٣٣).

(٢) عند ابن ماجه في كتاب الحدود، باب من ادعى إلى غير أبيه (٢٦١١).

(٣) عند الطبراني في المعجم الأوسط، عن سيدنا جابر رضي الله عنه، كما في مجمع الزوائد (٥/١٢٥).

لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌّ إزاره كبرياء».

ولا تنافي بين هذه الأحاديث لأن هذا يتوقف على قوة الإيمان.

*** عاشراً: مناشير وجوازات للمؤمنين بدخول الجنة:**

اعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز من ربِّ العالمين لذلك، فإن أهل الجنة يُعطون مناشير وجوازات وهم على الصراط بدخول الجنة.

روى الإمام الطبراني، عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله تعالى لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية»(١).

ومعنى الجواز: أي يجوز صاحبه به الصراط ويدخل به الجنة، ويسمى بالمنشور أيضاً.

وجاء في حديث آخر: «يعطى العبد المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية»(٢).

كما أنَّ هناك مناشير تُقَدَّمُ للمؤمنين في حالة الاحتضار، وهي بشائر

---

(١) كما في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٨)، وعزاه في الدر المنثور وكنز العمال (٣٩٣٥٣) إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن سيدنا سلمان رضي الله عنه.

(٢) كذا في تاريخ بغداد (١١/٣١٩) في ترجمة علي بن أحمد العباس البلخي، وتفسير ابن كثير عند هذه الآية الكريمة.

من الله تعالى لهم بالمغفرة والجنة، فلما شَمّ المؤمنون رائحة الجنة، وأخذوا الجواز بدخولها، واجتازوا الصراط بأمان وسلام، انتهوا إلى أبواب الجنة وهي مفتحة لهم قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠] وقد فتحها فاتح الجُود على هذا الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن كان الجود الإلهي الأكبر على أهل الجنة إنما هو أعظم مظاهر الجود والكرم؛ إذا كان هذا لا يُفتح على العباد إلا بواسطة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما بالك بالجود والخير الدنيوي الذي هو دون خير الجنة؟! ومن هنا تفهم أنه صلى الله عليه وآله وسلم فاتح لباب كرم الله تعالى في الدنيا والآخرة، وأنه واسطة الله العظمى في كل العوالم.

وبعد ما دخل المؤمنون الجنة حيّوا رب العالمين بالحمد، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٤].

فقابلهم الله تعالى بالثناء، وأمر الملَك أن يُؤَذِّن وينادي في أهل الجنة: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ثم يؤذِّن المؤذن من الملائكة بأمر يتعلق بأنَّ أهل الجنة صاروا في مقام الخلود الأبدي؛ والأذان هو الإعلان:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] قال: «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح، حتى يوقف على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبون ـ أي: يلتفتون نحو السور ـ ويقال: يا أهل النار فيشرئبون، فيقال: هل تعرفون هذا؟

فيقولون: نعم هذا الموت ـ وهذا بتعليم من الله تعالى، لأن هناك معلومات ضرورية تصل إلى الإنسان بداهة بما يناسب كل عالم ينتقل إليه ـ فيضجع فيذبح.

فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحاً»[١].

واعلم أن الموت يموت ـ أي: يذبح الكبش ـ عندما يخرج أهل الكبائر من النار ويدخلون الجنة، وتغلق أبواب النار على أهلها المؤبدين فيها.

وقد ذكر بعضهم[٢] أن الذي يَذبح الموت هو سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام لأنَّ هذا مظهر مقامه اليحياوي.

ثم ينادي مناد في أهل الجنة: «إنَّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»[٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٧٣٠)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٩)، والترمذي ـ واللفظ له ـ في كتاب التفسير (٣١٥٥).

(٢) كما في التذكرة للقرطبي.

(٣) الحديث في المسند (٣/٣٨)، وصحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة =

ولما نزلوا منازلهم، واستقبلتهم الملائكة بالتحية والسلام، عجّلت لهم الضيافات وهي خبز وإدام وشراب من عين تسمى سلسبيلاً؛ وهذا أول ما يقدم لهم.

وقد جاء في الحديث[1] أن الله تعالى يجعل الأرض قرص خبز لأهل الجنة، وأما الإدام[2] فهو زيادة كبد حوت، فكل منهم يأكل جزءاً من هذا الكبد.

وروى الإمام البخاري في صحيحه[3] أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، بلغه مَقْدَمُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ أي: ما هو السبب في جعل الولد ذكراً أو أنثى؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أخبرني به جبريل آنفاً».

= نعيمها (٢٨٣٧)، وسنن الترمذي في كتاب التفسير (٣٢٤١) عن سيدنا أبي هريرة وسيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(١) الذي رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥٢٠)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نُزُلِ أهل الجنة (٢٧٩٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ينظر المسند (٣/١٠٨)، وصحيح البخاري أول كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٢٩).

(٣) أول كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٢٩) واللفظ هنا من كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه (٣٩٣٨).
والحديث في مسند الإمام أحمد (٣/١٠٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

قال ابن سلام رضي الله عنه: ذاك عدو اليهود من الملائكة. أي: لأنه أتى بالعذاب والعقاب عليهم لمّا خالفوا أمر الله تعالى، واعلم أن جبريل عليه السلام من وظائفه أن يأتي بالشريعة، ويأتي بالعذاب على من ترك الشريعة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أما أول أشراط الساعة: فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ـ والمراد بالمشرق: مشرق المدينة ـ وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت ـ أي: طرف من كبد حوت من حيتان الجنة، فما أعظم ذلك الحوت الذي كفى أهل الجنة طرفٌ من كبده ـ وأما الولد: فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعتِ الولد» وفي رواية[1]: «فإذا اجتمعا فَعَلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرَ بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأةِ منيَّ الرجلِ آنثَ بإذنِ الله».

قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله.

قال: يارسول الله إن اليهود قوم بُهت ـ أي: يكذبون ـ فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّ رجل عبد الله بن سلام فيكم»؟

قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام»؟.

---

(١) عند الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب صفة منيِّ الرجل (٣١٥).

قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاده عليهم، فقالوا مثل ذلك.

فخرج إليهم عبد الله رضي الله عنه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قالوا: شرنا وابن شرنا.

ثم بعد هذه الضيافة العاجلة يعطون من النعيم واللذائذ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ثم يزيدهم الله من فضله فيقول لهم: «يا أهل الجنة.

فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك.

فيقول سبحانه: هل رضيتم؟

فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك؟

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟

فيقولون: يا رب أيٌّ شيء أفضل من ذلك؟

فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

ولما سمعوا بذلك زاد نعيمهم وسرورهم، ونسوا نعيم الحور والقصور، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

أي: ورضوان يسير يتجلى به الله تعالى على أهل الجنة أكبر عندهم من الحور والقصور والجنة كلها.

---

(١) تقدم تخريجه ص (٨٢).

ثم يزيدهم سبحانه زيادة من فضله، ويكشف عنهم الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم سبحانه وتعالى.

ومن جملة ألوان النعيم في الجنة: أن فيها نعيم التزاور فيما بينهم، وفيها نعيم زيارة جناب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها نعيم زيارة ربِّ العالمين جل وعلا.

قال الله تعالى في بيان تزاور المؤمنين في الجنة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

وجاء بيان معنى هذه الآية، في الحديث[١] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا؛ حتى يجتمعا جميعاً، فيتكئ هذا ويتكئ هذا؛ فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا.

فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟

فيقول صاحبه: نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله عز وجل فغفر لنا» اللهم اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

وهذا معنى قوله جل وعلا: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين من السؤال والحساب.

---

(١) الذي رواه البزار، ينظر كشف الأستار (٣٥٥٣)، ومجمع الزوائد (١٠/٤٢١).

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: ندعوه بالمغفرة والرحمة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقد تفضل علينا وأحسن إلينا وبَرَّنَا ورحمنا.

ولا يلزم من المؤمن إذا زار من هو أعلى منه مقاماً أن يطّلع على نعيمه أو يحلّ في مقامه.

كما أن لأهل الجنة زيارات إلى جناب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارات إلى ربِّ العالمين جل وعلا؛ حتى إنه سبحانه يحاضرهم ويكلّمهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله عز وجل، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. ويأخذ كل منهم موضعه العالي على حسب مقامه، وكل منهم يعرف مكانه وموضعه بتعريف من الله تعالى لهم، كما قال سبحانه: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [القتال: ٦] وَيَجلس أدناهم ـ وما فيهم دنيء ـ على كثبان المسك والكافور؛ ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله هل نرى ربنا؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر»؟ قلنا: لا.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم عز وجل».

ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عزَّ وَجَلَّ محاضرة، حتى إنه يقول للرجل منكم: ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ـ يُذكِّرُه بعض غدراته في الدنيا[1] ـ أي: مذكراً له بفضله وإحسانه سبحانه عليه.

وهذه الزيارات تكون فيها رؤية جميع أهل الجنة لحضرة رب العالمين سبحانه وتعالى، وتكون يوم الجمعة الذي يسمى في الجنة يوم المزيد، لأن فيه زيادة فضل على أهل الجنة برؤية الله جل وعلا.

وإن رؤية أهل الجنة لربهم سبحانه أعظم ألوان النعيم لهم، ولذلك ذكرها سبحانه في آية دون أن يذكر ألوان النعيم الأخرى من مأكل ومشرب وغيره، فقال جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

[القيامة: ٢٢-٢٣]

وقد جاء في الحديث أنه إذا كان يوم الجمعة في وقت الجمعة، التي يخرج أهل الجمعة إلى جمعتهم، ينادي مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد، فيخرجون في كثبان المسك، فإذا أخذ القوم مجالسهم بعث الله عز وجلَّ ريحاً تُدعى المثيرة، فتثير عليهم المسك الأبيض.

---

(١) طرف من حديث رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سُوْق الجنة (٢٥٥٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٩٥).

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فَيكشف الله تبارك وتعالى الحجب، ويتجلى لهم تبارك وتعالى؛ فيغشاهم من نوره، فلولا أن الله تعالى قضى ألا يموتوا لاحترقوا»[1].

وتنصبغ أجسامهم وذراتهم بهذا النور الإلهي، حتى يصيروا كلهم وجهة إلى رب العالمين، قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

فصاروا كلهم وجوهاً، وكل ذرة فيهم متوجهة للنظر إلى رب العزة سبحانه، ولقد أفناهم هذا التجلي النوراني عن قصورهم وحورهم ونعيمهم الآخر.

وهذا معنى قول أحدهم: إذا ما بدت ليلىٰ فكلّي أعين... أي: صارت كل ذرة فيهم وجهة إلى ربها، فالعين جارحة والله ربها؛ وهي تريد أن ترى ربها، واليد جارحة والله ربها؛ وهي تُحب أن ترى ربها وهكذا.

وإن من أهل الجنة من يتجلى الله عليه بالرؤية في بقية الأيام، وهذه تكون لأهل الكمال الخاص، ومنهم من يرى ربه بكرة وعشياً، كما جاء في الحديث[2]، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة لَمن ينظر إلى

---

(١) طرف من حديث طويل عزاه في مجمع الزوائد (٤٢٢/١٠) لمسند البزار عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه.

(٢) الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٦٤/٢)، والترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الربّ تبارك وتعالى (٢٥٥٦)، وينظر في مجمع الزوائد (٤١٠/١٠)، والبعث والنشور للبيهقي (٤٧٧ و٤٧٨).

جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية».

وهناك من هو دائم الشهود والنظر وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

※ الحادي عشر: نعيم المرافقة والمجالسة والمعِيَّة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

لقد ذكر سبحانه هذا النعيم على وجه مستقل عن غيره من ألوان النعيم الجسماني والنفساني، ليدل على عظيم أمر هذا النعيم، وعلو شأنه، وأنه لا يُنال إلا بمحض فضله سبحانه، وإنّ مَن جالس جانس - أي: أخذ حكماً إجمالياً لمن جالسه ونال من النعيم على حسبه في هذه المجالسة -.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ وهذه المعية من أكبر النعيم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩] أي: لو تعلم عظمة هذا النعيم، وسرَّ هذه المرافقة والمعية: لنافست عليها وزاحمت عليها.

ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا لا ينال إلا بفضله سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى علو مقام الرفقة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٧٠] أي بمن يليق لهذه المرافقة والمعية.

الأعمال التي تؤهل العبد لنيل معية ومرافقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإخوانه النبيين عليهم السلام:

١ـ طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] والطاعة هي: امتثال الأوامر الشرعية، واجتناب المناهي الشرعية، وأن يكون ذلك على وجه الطاعة لله تعالى، أي: بالصدق معه والإخلاص له سبحانه.

عن عمرو بن مرَّة الجهني رضي الله عنه قال: جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان ـ أي: مخلصاً لله تعالى ومجتنباً عمَّا نهى الله عنه ـ.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه «ما لم يَعُقَّ والديه»[1].

فهذه المعية لمن لم يرتكب محظوراً شرعياً يمنعه من هذه المعية، بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لم يَعُقَّ والديه» فمن باب أولى: ما لم يأكل أموال الناس بالباطل، أو يقع في أعراضهم؛ أو غير هذا من المحظورات الشرعية.

٢ـ كثرة النوافل الصلاتية والسجود لله تعالى تؤهل المؤمن لهذه المعية:

دليل هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسيدنا ربيعة

---

(١) عزاه في الدر المنثور إلى الإمام أحمد، وفي مجمع الزوائد (١٤٧/٨) إلى الإمام أحمد والطبراني.

ابن كعب الأسلمي رضي الله عنه عندما سأله مرافقته في الجنة، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «فأعِنِّي على نفسك بكثرة السجود»[1].

٣ـ الإكثار من تلاوة القرآن الكريم:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ ألف آية في سبيل الله تبارك وتعالى: كُتِبَ يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ وحسن أولئك رفيقاً إن شاء الله تعالى»[2].

٤ـ الإكثار من الدعاء بطلب المعية والمرافقة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وهذا ما كان عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إذ إنَّه كان يغتنم أوقات الإجابة؛ وخاصة في قيام الليل، ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، وقرَّة عين لا تنقطع، ومرافقة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى غرف الجنة جنة الخلد).

روى الإمام أحمد في مسنده[3]، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد وهو بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإذا ابن مسعود

---

(١) الحديث في المسند (٤/٥٩)، وصحيح مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السجود (٤٨٩).
(٢) الحديث في المسند (٣/٤٣٧)، والمستدرك (٢/٨٧)، وسنن البيهقي (٩/١٧٢).
(٣) المسند (١/٤٠٠ و٤٣٧ و٤٤٥ و٤٥٤).

رضي الله عنه يصلي، وإذا هو يقرأ النساء ـ أي: سورة النساء ـ فانتهى إلى رأس المائة، فجعل ابن مسعود رضي الله عنه يدعو وهو قائم يصلي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اسأل تعطه، اسأل تعطه»، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سرَّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد».

فلما أصبح غدا إليه أبو بكر رضي الله عنه ليبشِّرَه، وقال له: ما سألت الله البارحة؟

قال: قلت: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد ـ وفي رواية: ونعيماً لا يبيد[1]، وقرَّة عين لا تنقطع أو قال: لا تبيد[2] ـ ومرافقة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى جنة الخلد ـ وذكر ابن مسعود رضي الله عنه أن هذا الدعاء لا يكاد أن يتركه فهو ملازم له[3].

ثم جاء عمر رضي الله عنه فقيل له: إن أبا بكر رضي الله عنه قد سبقك، قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه.

٥ـ الإكثار من النوافل التعبدية بأنواعها:

روى الإمام البخاري[4]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عز وجل: مَن عادى لي

---

(١) المسند (٣٨٦/١).

(٢) كما في مسند الطيالسي ص٤٥ حديث رقم (٣٤٠).

(٣) كما في المسند (٣٨٦/١ و٤٣٧).

(٤) في كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها - وفي رواية[١]: «وفؤاده» أي: قلبه «الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به» - ولئن سألني لَأُعْطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذَنَّه».

وفي رواية[٢]: «ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة».

وإن أعظم من تحقق بمقام قرب النوافل: كمالاً وحقيقة وأصالة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي شهد الله له بالنافلة بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يسمع ما لا يسمع غيره، ويرى ما لا يرى غيره، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون»[٣].

---

(١) ينظر جامع العلوم والحكم للعلامة ابن رجب، وفتح الباري (١١/٣٤٤)، وكنز العمال (١/٢٣٠).

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم عند شرحه للحديث (٣٨)، وفتح الباري (١١/٣٤٥)، والحلية (٦/١١٦)، وكنز العمال (١٥/٩٣٣) حديث رقم (٤٣٦٠٠).

(٣) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٥/١٧٣) والترمذي في كتاب الزهد، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو تعلمون ما أعلم...» (٢٣١٣).

ومن هذا[1] لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يوم بدر ويوم حنين، أخذ كفاً من حصى ورماه في وجوه الأعداء، فما ترك واحداً منهم إلا وأصابه في عينيه ومنخره، وهذا أعظم مظهر لقوله تعالى في الحديث القدسي: «يده التي يبطش بها»، وفي هذا نزل قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وهذا من باب القرب الملكوتي المنطوي في قرب النوافل.

ومن هذا قوله تعالى في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤].

وقد يكرم الله تعالى أولياءه فتظهر على أيديهم خوارق عادات، أو يكشف لهم الحجاب فيريهم ما لا يرى غيرهم، ويُسمعهم ما لا يسمع غيرهم، أو يطوي لهم الأرض فيقطعون المفاوز بخطوات معدودة.

واعلم أن كل كرامة لولي هي معجزة لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه ما نالها إلا بسبب اتباعه له عليه الصلاة والسلام. ومن ذلك رؤية سيدنا عمر رضي الله عنه ـ وهو على منبر المدينة المنورة ـ جيش المسلمين بنهاوند: وقد ذكر القصة التاج السبكي[2] وغيره من العلماء[3].

---

(١) ينظر الدر المنثور للحافظ السيوطي عند تفسير الآية (١٧) من سورة الأنفال.

(٢) في طبقات الشافعية الكبرى (٢/٣٢٣).

(٣) تقدم تخريجه ص (٧٢).

وذلك أن عمر رضي الله عنه أمَّرَ سارية رضي الله عنه على جيش المسلمين، وجهزه إلى نهاوند، فاشتد الحال على عسكر المسلمين عند باب نهاوند وهم يحاصرونها، وكاد المسلمون ينهزمون، فبينما عمر رضي الله عنه على المنبر في المدينة يخطب؛ إذ نادى بأعلى صوته: (يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ) فأسمع الله عز وجل سارية وجيوش المسلمين صوت سيدنا عمر، فلجؤوا إلى الجبل، وحموا ظهرهم من أعدائهم وكان عاقبة ذلك النصر.

وذكر الإمامان النيسابوري والرازي في تفسيرهما قول بعض العلماء: كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «أنتما مني بمنزلة السمع والبصر»[١]، فلما كان سيدنا عمر رضي الله عنه بمنزلة البصر لا جرم قَدَرَ على رؤية الجيش من بعد[٢].

ومن ذلك أيضاً قصة العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، ومشيه بجيوش المسلمين على وجه الماء: روى البيهقي[٣] عن أنس رضي الله

---

(١) عزاه في كنز العمال بلفظ: «أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس» إلى أبي يعلى، وأبي نعيم، والبارودي، وابن عساكر، والخطيب في التاريخ، وأصله في سنن الترمذي كتاب المناقب، باب (٣٧) حديث (٣٦٧٢)، والمستدرك للحاكم (٦٩/٣) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: «هذان السمع والبصر».

(٢) ينظر في تفسير النيسابوري والرازي لسورة الكهف.

(٣) في دلائل النبوة (٥٢/٦).

عنه قال: جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، قال أنس رضي الله عنه: وكنت في غزاته، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد نذروا بنا فعفوا آثار الماء ـ أي: عطلوا منابع الماء ودمروها ـ.

قال أنس رضي الله عنه: وكان الحر شديداً، فجهدَنَا العطشُ ـ أي: اشتد علينا ـ وذلك يوم الجمعة، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين، ثم مدَّ يده إلى السماء وما نرى في السماء شيئاً، قال أنس رضي الله عنه: فوالله ما حط العلاء رضي الله عنه يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً، وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب، فشربنا وسقينا ركابنا وملأنا أوعيتنا، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف العلاء رضي الله عنه على الخليج ودعا فقال: (يا عليُّ، يا عظيم، يا حليم، يا كريم) ثم قال: أجيزوا ـ أي: سيروا ـ بسم الله.

قال أنس رضي الله عنه: فسرنا على وجه الماء وما يبلُّ الماء حوافر إِبِلِنَا، وأصبنا العدو فَقَتَلْنا وأسرنا وسبينا، ثم أتينا الخليج.

فقال العلاء رضي الله عنه: ودعا بمثل مقالته الأولى، فأجزنا وما يبلُّ الماء حوافر دوابنا. فلم نلبث إلا يسيراً حتى رمي في جنازته ـ أي: توفي ـ.

قال أنس رضي الله عنه: فحفرنا له وغسلناه ودفناه.

فأتى رجل بعدما دفناه فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى.

فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله، فاتفقنا على نقله، فحفرنا قبره فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا العلاء رضي الله عنه ليس في القبر، وإذا اللحد مد البصر يتلألأ نوراً.

قال أنس رضي الله عنه: فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا.

نعم لقد نقلته الملائكة عليهم السلام[1].

ونسأل الله التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

*** *** ***

---

(١) قال البيهقي رحمه الله تعالى في الدلائل (٦/٥٣): وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً في قصة العلاء بنحو من هذا عند الطبراني في الثلاثة، كما في مجمع الزوائد (٩/٣٧٦)، وفي تاريخ ابن كثير (٦/١٧٢)، قال: ذكر البخاري في (التاريخ) لهذه القصة إسناداً آخر، وذكرها أبو الفرج الأصبهاني، وتنظر في حياة الصحابة.

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة السادسة:

حول صفات أهل الجنَّة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهناك صفات إذا وجدت في مؤمن دخل الجنة بدون توقف أو تأخير ـ أي: بدون أن تمسه النار بشيء من العذاب ـ وقد جاءت هذه الصفات في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فما هي صفاتهم وأخلاقهم؟

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي: في حال الشدَّة والرخاء ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ أي: لا يظهرون غضبهم إلا فيما يُغْضب الله ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يعفون عن حقوقهم ابتغاء الأجر

عند الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأن هذه الصفات مِنْ مقتضيات مقام الإحسان.

روى الإمام البيهقي[1] عن عبد الرزاق قال: جعلت جارية لعلي بن الحسين رضي الله عنهما تسكب عليه الماء، فتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عزَّ وجل يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فقال لها: قد كظمت غيظي.

قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال لها: قد عفا الله عنك.

قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال: اذهبي فأنتِ حرَّة.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ أي: إذا صدر منهم ذنب بارتكاب كبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بذنب من الصغائر ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: تذكروا ربهم سبحانه، وذكروا عظمة الله وكبرياءه، وذكروا موقفهم بين يديه سبحانه، وهذا التذكر حملهم على الخوف والخشية ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: مَنْ يقدر على غفران الذنب إلَّا الله، لأن للذنب آثاراً ظلمانية على القلب، فلا يقدر على محو هذه الآثار الظلمانية، وإزالة الران عن القلب إلَّا الله تعالى وحده بمغفرته للذنب.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ أي: بل بادروا إلى التوبة والاستغفار

---

(١) في شعب الإيمان ـ الشعبة السابعة والخمسون: حسن الخلق ـ (٣١٧/٦) رقم (٨٣١٧).

فوراً؛ لأنَّ الإصرار على الذنب بريد الكفر، وجاء في الحديث: «ويل للمُصِرِّين»[1].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إذا ذكر محبوبهم الأعظم وهو ربّ العالمين هابته قلوبهم، وعظَّمُوه وحنوا إليه واشتاقوا إليه، وليس من الإيمان عدم وَجَلِ القلب إذا ذكر الله تعالى، بل يجب على المؤمن إذا سمع ذِكْرَ الله أن يخاف الله، وأن يُعظِّمه لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: على إيمانهم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقد بَيَّن صلى الله عليه وآله وسلم صفات أهل الجنة المضمونة لهم بلا توقف أبداً: فمن هذا ما جاء في الصحيحين[2]، عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنَّة: كل ضعيف مُسْتَضْعف[3]، لَو أقسم

---

(١) طرفٌ من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/١٦٥ و٢١٩)، والطبراني، ينظر مجمع الزوائد (١٠/١٩١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) البخاري في كتاب التفسير (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٥٣).

(٣) أي: ضعيف في نفسه، وينظر الناس إليه بعين الضعف، ومعنى: «لو أقسم على الله لأبره» أي: لو قال يا ربّ إلا فعلت كذا لأجابه سبحانه.

على الله لأبرَّه. ألا أخبركم بأهل النَّار: كل عُتُلٍّ جواظ[1] مستكبر».

وروى مسلم في صحيحه[2] عن عياض المجاشعي رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنّ ربي أمرني أَنْ أعلِّمكم ما جهلتم ممَّا علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال ـ أي: كل مال أعطيته عبداً من عبادي بطريق شرعي فهو حلال له، ولا يحق له أن يُحرِّمه على نفسه ـ وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ـ أي: على الدين الحنيف ـ وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ـ أي: أغوتهم ـ وحَرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأَمَرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم؛ إلا بقايا من أهل الكتاب» أي: كلهم ممقوتون إلَّا المتمسكون بكتب الله السماوية، المتبعون حقاً لرسل الله صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان» أي: وهو القرآن، لا يغسله الماء لأنه محفوظ في الصدور وإن ذهب من السطور، وإن أول صدر جَمع الله فيه القرآن هو صدر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أي: في صدرك يا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) عتل: مُدَّعٍ في نفسه. جواظ: معجب بنفسه.
(٢) في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنَّة (٢٨٦٥).

وآله وسلم، ومن صدره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم أفاض على قلوب الصحابة وصدورهم، وتنقل في صدور أتباعهم إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقوله: «تقرؤه نائماً ويقظان» لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم تنام عيناه وقلبه يقظان.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفَّق - أي: لما يُرضي الله تعالى - ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُربىٰ ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» الحديث. أي: غير جَشع أو طمع بما في أيدي الناس.

*** ومن علامات أهل الجنَّة المضمونة لهم: الثناء الحسن من المؤمنين:**

كما جاء في الحديث[1]: «يوشك أن تعرفوا أهل الجنَّة من أهل النَّار».

قالوا: بِمَ ذاك يا رسول الله؟

قال: «بالثناء الحسن والثناء السيئ، أنتم شهداء الله بعضكم على بعض».

فَمَنْ مدحه المؤمنون لإيمانه وكماله وصلاحه فهو كامل عند الله، وهو من أهل الجنَّة؛ ومن ذكره المؤمنون بسوء دَلَّ على أنه من أهل النَّار.

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الثناء الحسن (٤٢٢١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ـ أي: على الميت ـ.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وجبت».

ثمَّ مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً ـ أي: أنه كان منافقاً ـ.

فقال: «وجبت».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟

قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنَّة، وهذا أثنيتم عليه شرّاً فوجبتْ له النَّار، أنتم شهداء الله في الأرض»[1].

وهذا من جملة معاني قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

*** ومن صفات أهل الجنَّة بمن فيهم الأبرار والمقربين:** ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١-٣٥].

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِّبَتْ للمتقين، وهم: الممتثلون أوامر الله، والمنتهون عمّا نهى الله تعالى.

ومعنى هذا التقريب، قال بعض السلف: إنّ هذا الإزلاف والتقريب

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت (١٣٦٧) ـ واللفظ له ـ ومسلم في كتاب الجنائز أيضاً، باب فيمن يثنى عليه خير... (٩٤٩)، وهو في المسند والسنن الأربعة وغيرها.

زمني، أي: قربت الجنة للمتقين في الزمن، لأنَّ أمر الجنَّة أمر يتعلق بيوم القيامة، والساعة آتية، وكل آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت، فما دامت الساعة آتية لا شك فيها فلا تستبعد الزمن مهما طال.

وقال بعضهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت لهم وجودياً ومكانياً، فقربت لهم حينما صاروا في عالم الحشر والناس في الأهوال والشدائد، وإذا بالجنة قربت للمتقين فصاروا يرونها حتى تطمئن قلوبهم وتنشرح صدورهم.

وقال بعضهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: تقريب وعرض نعيم من نعيم الجنة في كل عالم من عوالم المتقين. والمعنى: أن الله جلَّ جلاله جعل للمتقين في كل عالم رياضاً من رياض الجنَّة، وجعل الله لهم مذاقات يذوقون بها حلاوة الجنَّة ونعيمها.

وهذا كما ورد في الأحاديث أنَّ الجنة لها رياض، ورياض الجنة موزعة على جميع العوالم، فهناك رياض جنانية في عالم الدنيا، ورياض جنانية في القبر، ورياض جنانية في الحشر، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى جنَّة المأوى.

فقربت الجنة برياضها للمتقين في مدّ العوالم، بحيث إنَّ مَنْ دخل رياض الجنَّة في كل عالم ذاق حلاوة الجنَّة، وشم ريح الجنة، وشهد نمطاً من نعيم الجنة.

كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مررتم برياض الجنَّة فارتعوا».

قلت: يا رسول الله وما رياض الجنَّة؟

قال: «المساجد».

قلت: وما الرتع يا رسول الله؟

قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر»[1].

وفي رواية[2]: قالوا: وما رياض الجنة؟

قال: «حِلق الذكر».

وفي رواية[3]: قالوا: وما رياض الجنَّة؟

قال: «مجالس العلم».

فهو مجلس من الجنة وروضة من رياضها.

وهناك الرياض الجنانية في القبر، كما ورد في الحديث، عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النَّار»[4].

فالمتقون يتنقلون من روضة جنانية إلى روضة جنانية، إلى أن يدخلوا جنَّة المأوىٰ.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٨٧) حديث رقم (٣٥٠٤).

(٢) في المسند (٣/ ١٥٠)، والترمذي (٣٥٠٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٣) عند الطبراني في الكبير برقم (١٠٩٩٥)، وينظر في مجمع الزوائد (١٢٦/١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) طرفٌ من حديث رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٢٧) حديث رقم (٢٤٦٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ الأواب: هو الرجّاع إلى الله تعالى في جميع أموره، وفي جميع أحواله، وفي جميع الأوقات، لاسيما في أوقات غفلات الناس عن الله تعالى.

ويقال: آب أي: رجع؛ فهو آيب. وأواب مبالغة. أي: كثير الرجوع، فهو يؤوب في جميع أموره إلى الله تعالى، عابداً لله، طائعاً له، متوجهاً إليه، وخاصة في وقت غفلة الناس عن الله سبحانه.

ومن هنا ورد أَنّ صلاة الأوابين وقت الضحوة الكبرى، حينما انشغلت النَّاس في أعمال الدنيا، وهناك ما بين الظهر والعصر الذي تستريح الناس فيه، وهناك ما بين المغرب والعشاء، وهناك قيام الليل، وفي هذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»[1] أي: حين يشتدّ الحر، بحيث أن الرمل يكون حاراً حينما تطؤه خفاف الإبل.

فسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة في وقت الضحوة الكبرى سماها صلاة الأوابين؛ لأنهم آبوا وصلّوا وقت غفلة الناس في دنياها، ولا بأس أن يصلي المرء الضحى بعد طلوع الشمس، ثم يُكمل صلاته عند الضحوة الكبرى.

وإن من شأن الأوابين أنّ عملهم خفي عن الناس، يقول سبحانه

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٦٧)، ومسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال (٧٤٨) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه

وتعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] أي: إن صلاح الأوابين صلاح خفيٌّ مع الله سبحانه وتعالى.

فصلاة الليل لا يراهم فيها أحد إلّا الله، وكذلك صلاة ما بين المغرب والعشاء، والأفضل أن تكون بعزلة عن الناس لأنها أقرب إلى الإخلاص؛ فهي أرجى للقبول. وهكذا سائر النوافل إلّا عند الاضطرار إلى ذلك.

﴿حَفِيظٌ﴾ وهو الذي جمع أنواع الحفظ وتحقق بمراتب الحفظ كلها:

ومن ذلك: «احفظ الله يحفظك»[1] أي: احفظ ذكر الله فلا تَنْسَهُ، وإن فتر اللسان فهو مذكور بالجَنَانِ؛ في جميع الأوقات وعلى جميع الأحوال.

وكذلك أن يحفظ المؤمن أوامر الله كما قال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وأثنى سبحانه على الذين يحفظون صلاتهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها: لم يكن له نور ولا برهان

---

(١) طرفٌ من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (١/٢٩٣)، والترمذي في آخر أبواب صفة القيامة (٢٥١٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَيّ بن خلف»[1].

فالصلاة نور لصاحبها، كما جاء في صحيح مسلم[2]: «والصلاة نور، والصدقة برهان - أي: على صدق الإيمان - والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك».

فمن واظب على الصلاة نَوَّرَ الله قلبه ووجهه كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] وهي نور للمصلي في قبره.

وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول: (صلوا لله ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور) أي: حتى تُنَوِّرُوا بها قبوركم[3].

«وبرهاناً»: أي: حجة قاطعة لصاحبها على أنه رجل مؤمن. فمن واظب على الصلاة شهدت له يوم القيامة وحاجّتْ عنه.

«ونجاة» أي: ينجو بها من العذاب.

وهناك الحفظ لحدود الله: قال جل وعلا: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] فإن الله تعالى حَدَّ حدوداً، وحرم محرمات، فعلى المؤمن ألَّا يتعداها، فمن حَفِظَ الله، وحفظ أوامر الله،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/١٦٩)، والطبراني في الكبير والأوسط ينظر مجمع الزوائد (١/٢٩٢)، وابن حبان في صحيحه (١٤٦٥).

(٢) أول كتاب الطهارة (٢٢٣)، وهذا طرف حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٣٤٢)، وغيرهما.

(٣) كذا في الحلية في ترجمة سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

وحفظ حدود الله: حفظه الله بأنواع الحفظ كلها، وحفظه في أمور دنياه ودينه وآخرته[1].

وفي الحديث[2]: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة». أي: صِلْ بينك وبين الله دائماً، بكثرة العبادة والدعاء؛ لاسيما في حالة الرخاء، حتى إذا اعترتك الشدائد أنقذك الله منها ونجّاك.

ولقد أخبر سبحانه عن سيدنا يونس عليه السلام لما وقع في الشدة والضيق، والْتَقَمَهُ الحوت: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤] أي: أن تسبيح يونس عليه السلام السابقَ نجَّاه من الضيق اللاحق.

وفي الحديث[3]، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن يونس حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات، حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال: لا إله إلَّا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.

فأقبلت الدعوة نحو العرش، فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في بحث الوعظ والتذكير عند الآيات، في الجزء الثاني من كتاب (حول مواقفه ﷺ مع العالم للشيخ الإمام رضي الله عنه).

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) عزاه في كنز العمال لابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة رقم (٣٢)، وينظر في تفسير ابن كثير، والدر المنثور للحافظ السيوطي.

فقال: أما تعرفون ذلك؟

قالوا: يا رب مَنْ هو؟

قال: ذلك عبدي يونس الذي لَم يزل يُرفع له عمل متقبل، ودعوة مستجابة.

قالوا: يا ربِّ أفلا ترحم من كان يصنع في الرخاء فتجيبه في البلاء.

قال: بلى! فأمر الحوت فطرحه بالعراء» أي: أمر الله تعالى الحوت أن يُلقيه على الشاطئ سليماً، وأنبت عليه شجرة من يَقْطِينٍ ـ أي: القرع الشتوي ـ وظللته بورقها الكبير حتى يتغذى بما فيها، وينمو جسمه عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: خشي الرحمن وهو غائب عنه بصراً ولكن يشاهده بقلبه.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: بالغيب عن الناس في خلوته.

وإن مقياس الخشية الصحيحة من الله تعالى هي: أَنْ يخشىٰ المؤمن ربه بالسر والعلانية، وهذا كما ورد في الحديث[1]: «ورجل ذكر الله خالياً ـ أي: عن الناس، أو خالي القلب عن الأغيار ـ ففاضت عيناه» أي: خشيةً من الله تعالى.

---

(١) طرفٌ من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٤٣٩)، والبخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾: أي بدون أن تلقوا شدائد أو خطراً أو هولاً أو ذعراً، بل هم بسلام وأمن بفضل الله تعالى.

*** ومن جملة صفات أهل الجنة ما ذكره سبحانه في آخر سورة الفرقان** فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمًّا وَعُمۡيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦١- ٧٥].

معنى: ﴿تَبَارَكَ﴾ البركة هي الكثرة، فهو سبحانه له أسماء وكمالات لا تتناهى، كما أن خيراته وبركاته ورحماته على العالم لا تحصى

ولا تعد، ولذلك تبارك الله أي: كثرت أسماؤه وصفاته على وجه لا يتناهى، وكثرت خيراته ورحماته على عباده على وجه لا يُحصى ولا يفنى، فهو سبحانه تبارك بأسمائه وصفاته، وخيراته ورحماته، وإنّ أسماء الله تعالى لا نهاية لها، لأن أسماءه سبحانه تدل على كمالاته، وكمالاته لا تتناهى، فكانت أسماؤه لا تتناهى.

ومن جملة الأسماء الإلّهية التي ظهر أثرها في هذا العالم تسع وتسعون اسماً، كما جاء في الحديث[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة» أي: لها خصوصية مَن آمن بها، وفهم معناها وأداها حقوقها من العبادة: دخل الجنة. ولكن أسماء الله لا تنتهي، كما في الحديث[2]: «أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيْتَ به نفسك، أو علَّمْته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» الحديث.

فهناك أسماء إلّهية اختص الله بها، ولم يُظهر أثرها في هذا العالم، وسوف يَظهر منها في العوالم الأخروية الآتية، وفي هذا يقول عليه الصلاة وأتم التسليم مخبراً عن موقف الشفاعة: «فأنطلق فآتي تحت

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٥٨)، والبخاري في آخر كتاب الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم في أول كتاب الذكر والدعاء والتوبة (٢٦٧٧)، وغيرهم.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/٣٩١)، وعزاه في مجمع الزوائد (١٠/١٣٦) إلى أبي يعلى والبزار والطبراني.

العرش، فأقع ساجداً لربي عزَّ وجلَّ، ثم يفتح الله عليَّ مِنْ محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي»[1].

وفي رواية[2]: «فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله».

وإذا علمت هذا فهو سبحانه تبارك حقاً؛ لكثرة أسمائه وكمالاته ورحماته وخيراته على وجه لا يتناهى، ولهذا تجد أنه سبحانه يفتتح الخيرات العظام بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ فافتتح الوجود والخلق وعالم الإبداع والتخليق بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [تبارك: ١-٢] كما افتتح سبحانه إنزال القرآن الذي فيه الخير العام لجميع الأنام فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

وهكذا سبحانه لما ذكر هذا العالم الدنيوي، وذكر نظامه الحيوي والمعاشي، والسماوي والأرضي، فقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾.

أي: ما أعظم خيره وبره على عباده، فإنه نَظَّم لهم العالم، وأودع لهم فيه ما تقوم به مصالحهم ومعايشهم، كالشمس والقمر والنجوم والكواكب، حتى أنه إذا أراد نهاية العالم بقيام الساعة، فأولاً تتلاشى الكواكب كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١-٢]

---

(١) طرف من حديث الشفاعة، رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ حديث رقم (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان (١٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) عند الإمام مسلم في كتاب الإيمان (١٩٣).

وقوله جلَّ وعلا: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١-٢] وغيرها من الآيات، ممَّا يدل على أن هذه الكواكب والنجوم، إنما هي مسخرات لمصلحة الإنسان ورحمة به، وله فيها من الخصائص والمنافع ما لا يعلمه الإنسان، لكنه سبحانه وتعالى بَيَّن ذلك، وأنها مسخرة بأمره فقال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿بُرُوجًا﴾: وهي البروج المعروفة، وعليها يقوم نظام الشمس، وتنشأ عنها الفصول الأربعة: من برودة، واعتدال وحرارة.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ وهو السراج المضيء على العالم الكوني المحسوس، وهو الشمس الفلكية المعروفة، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣] وجاء في قراءة متواترة، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجاً﴾ أي: شموساً ممَّا يدل على أنّ هناك عدة شموس في هذا العالم، منها هذه الشمس المعروفة، والمنوطة بها مصالح هذا العالم.

ولكل شمس كواكب ونجوم تابعة لها، وكل مجموعة شمسية تتبع التي أعلى منها، حتى ينتهي أمر الكل إلى الارتباط بعالم عرش الرحمن جل وعلا.

فجميع الكواكب والنجوم المعروفة والمحسوسة، والتي لا يحيط الإنسان بها؛ إنما تستمد من عالم عرش الرحمن، والعرش وما حواه إنما يستمد من حضرة الرحمن جل وعلا، ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: بالإمداد والتدبير.

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ أي: يستنير ويستفيد نوره من الشمس، ثم يمد

غيره بالنور ليستفيد منه العالم في معرفة الزمان والشهور والأعوام، وما يترتب على الأشهر من عبادات ومعاملات، وغير ذلك من الأحكام، وفي هذه الآيات تنبيه من الله تعالى إلى أَنّ البيت الذي لا نور فيه فهو مظلم، فما هذا العالم إلا كالبيت الكبير الذي أسكن الله فيه الخلائق، وجعل لهم فيه سراجاً وهاجاً وهو الشمس.

وهناك بيت القلب، وهناك الروح والعقل، وهناك العوالم الأخرى غير المادية، فما هو نور تلك العوالم الروحية، كعالم الأرواح وعالم القلوب والعقول والتي لا تستنير بنور الشمس؟... نعم إن نور الشمس لا ينور تلك العوالم، ولو كان نور الشمس يُنَوِّر القلب بالإيمان لما بقي على وجه الأرض كافرٌ، فلا بد لك أيها الإنسان من نور أقوى من نور الشمس، وأنت بحاجة إليه أشد من حاجتك إلى نور الشمس، وما هذا النور إلَّا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

واعلم أن الناس محتاجون ومضطرون إلى الشمس المحمدية أشد من حاجتهم إلى أنوار الشمس الفلكية، لأنه يُستغنى عن الشمس الفلكية في الليل، لكن لا غنى لهم عن نور سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل لحظة، ليدفعوا عن قلوبهم ما يَرِدُ عليها من شبهات وضلالات.

وإذا كانت الشمس الفلكية تُوصف بالوهج والحرارة؛ فربما أضرت بالإنسان إذا تعرض لها أو زاد حرها، لكن الشمس المحمدية التي سماها سبحانه وتعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] لا يتأتى منها إلا الخير والإنارة والهدى.

وعلى الإنسان أَنْ يدرك يقيناً أنه إذا كانت حياته الحسية منوطة بنظام الشمس الفلكية، فإنّ حياته الأبدية وسعادته الأبدية منوطة بشمس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واعتبر في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

ولو كشف الله للإنسان كشفاً روحياً قلبياً عقلياً، بل كشفاً حسياً، لرأى أن نور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقوى من نور الشمس الفلكية بما لا يقاس.

ولهذا أجمع الصحابة على وصف نورانية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشمس، بل أقوى من الشمس، ولو أنهم رأوا من المحسوسات ما هو أشد نوراً من الشمس لوصفوه بها، كما قالوا: (كأن الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

واعلم أن نور المؤمن الكامل أقوى من نور الشمس، فما بالك بنور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أفاض النور على الكائنات كلها.

وإن هذا النور لا تدرك حقيقته بنور البصر، بل بنور البصيرة القلبية.

وأخرج عبد بن حميد، عن إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ـ أي: تلميذه ـ أنه قال:

---

(١) ينظر المسند للإمام أحمد (٢/ ٣٨٠)، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب (٢٦) (٣٦٥٠).

(انظروا ماذا أعطى الله عبده من النور في عينه من النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً) ـ يعني: في الجنة ـ ثم قال: (لو جعل نور جميع الخلق في عيني عبد، ثم كُشِفَ عن الشمس ستر واحد ـ ودونها سبعون ستراً ـ ما قدر على أن ينظر إليها) لأنّ نور الشمس الذي يصل إلى الأرض إنما يصل إليها من وراء سبعين حجاباً، وليست هذه الحجب مادية، وإنما هي حجب غيبية، تُخفف من نور الشمس على أهل الأرض، فهو حجاب نسبي وليس حجاباً مادياً، كما أن نور الكهرباء الذي يصل إلى منزلك، إنما يصل بعدما يمر على محطات تحويل وتنظيم وتخفيف، ولو وصل نور مولد الكهرباء إلى المنزل مباشرة لاحترق المنزل بما فيه، وهذا أمر معروف بديهي، فما وصل نور الكهرباء المعروف إلى المصباح إلا من وراء حجاب خفف قوته، واعتبر من هذا في نور الشمس الذي يصل إلى أهل الأرض.

قال عكرمة: (ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر)[1]، أي: الحجاب الذي جاء في الحديث: «حجابه النور»[2].

وافهم من هنا قوة نور البصر التي يُعطيها الله تعالى للمؤمنين في الجنة، حتى إذا كشف لهم الحجاب رأوا ربّ العالمين.

---

(١) ينظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٣/٤٢٥) كتاب التوحيد، باب (٢٤).

(٢) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٤٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب (٧٩) رقم (١٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فأين نور الشمس إذاً من نور المؤمن في الجنة، فما بالك بنور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فهو حقاً السراج المنير كما وصفه ربّ العزّة جلّ جلاله.

فلقد جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنور قوي فتح به العيون العمياء، وهي عيون القلوب المغلقة بالشرك، والآذان الصماء، كما جاء في الحديث في صفته بالتوراة[١]: «ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً».

وجاء أيضاً[٢]: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» أي: مكة المكرَّمة، فقد ظهر نور الله تعالى مستعلناً جلياً، كما تستعلن الشمس في كبد السماء ظهراً، وذلك ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي عمت رسالته جميع الرسالات، وحوت شريعته جميع الشرائع على وجه أكمل وأجمع.

وقد أشرق نور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وعلى أتباعه إلى يوم الدين، كما أشرقت الشمس نورها على الكواكب وظهر نورها فيهم، ولذلك وَصفَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم العلماءَ بنجوم السماء، كما جاء في المسند[٣]، عن أنس بن

---

(١) عند الإمام أحمد (٢/١٧٤)، والبخاري في كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق (٢١٢٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) كما في تفسير القرطبي، وابن كثير في تفسيره لسورة التين، والآلوسي وغيرها.

(٣) (٣/١٥٧).

مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء؛ يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر؛ فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة».

وفي الحديث[1] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يبعث الله العباد يوم القيامة ـ أي: يجمعهم ـ ثم يُمَيِّزُ العلماء فيقول: يا معشر العلماء، إني لم أضع فيكم علمي لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم».

وجاء في الحديث[2]: «إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط، قيل للعابد: ادخل الجنة وتنَعَّمْ بعبادتك، وقيل للعالم: قف هنا واشفع لمن أحببت، فإنك لا تشفع لأحد إلا شُفِّعْتَ» أي: كما نفعتهم في الدنيا فانفعهم في الآخرة؛ لأن شأن العالم النفع لعباد الله تعالى.

فاعتبر في الآيات، إذ إنه سبحانه ذكر أولاً الشمس والبروج والنجوم، ثم ذكر بعد ذلك الصلحاء والأتقياء من أهل الجنة، وذلك حتى يعلم الإنسان أَنّ هناك أقوى من هذا النور المحسوس، وهو نور الإيمان والعبادة والطاعة لربّ العالمين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: أنه سبحانه هو الذي قسم الزمن إلى قسمين، ولو أنه جعل الليل سرمداً، فَمَنْ غيره يأتي بنهار، ولو أنه جعل النهار سرمداً مَنْ غَيْره يأتي بليل، فحقاً تبارك الله الذي يتصرفُ ويُدبر الأمور على وجه الحكمة، والمنفعة لعباده.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١/ ١٢٦).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١٢٩٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿خِلْفَةً﴾ أي: يخلف بعضه بعضاً، فالليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل؛ دونما فتور أو انقطاع، بل على وجه متعاقب دائب.

﴿خِلْفَةً﴾ أي: مختلفين أيضاً، فالليل مظلم والنهار مضيء، وفي الليل تهدأ الجوارح ويسكن الإنسان، أما في النهار فينهض، كما أنهما مختلفان دائماً في المدة، فلما يطول الليل يقصر النهار، والعكس؛ على وجه دائم.

﴿خِلْفَةً﴾ أي: كل منهما يخلف ما قبله، فمن فاته شيء في الليل فليتب في النهار؛ إن لم يتب في الليل، وبالعكس؛ فينبغي على المؤمن أن لا يُفَوِّتَ على نفسه شيئاً.

وقد ورد في الحديث الذي رواه مسلم[1]، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله عزَّ وجلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها».

ومن نام عن قيام الليل لضرورة فَلْيُصَلِّهِ في النهار، وكذلك من نام عن صلاة الصبح دون تعمد أو تسبب منه في ضياعها فليقضها في النَّهار.

جاء في الحديث[2]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

---

(١) في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب... (٢٧٥٩).

(٢) الذي رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة (٥٩٧)، ومسلم ـ واللفظ له ـ آخر كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٨٤)، وهو في المسند أيضاً بلفظ مسلم (٣/ ١٨٤).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإنّ الله يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾».

﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتذكر آيات الله في اختلاف الليل والنهار، ويتذكر قدرة الله تعالى الظاهرة في الليل والنهار، فيزداد إيمانه ويتلافى تقصيره.

﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ أي: تقرباً إلى الله في الليل أو في النهار.

فالنظر في هذا العالم يحمل الإنسان على أمرين:

أولاً: التفكر في آيات الله تعالى وقدرته؛ وهو التذكر لمن أراد أن يتذكر.

ثانياً: العمل بما أمر الله تعالى وهو الشكر لله ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ عباد: جمع عبد، وهم الذين عبدوا الله حقاً فصاروا عباد الرحمن. وقال بعضهم: عباد جمع عابد كصحاب جمع صاحب. أي: عباد الرحمن بالعبادة الخالصة لله تعالى.

وإن قوله ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لأنه سبحانه سيجمع لهم أنواع الرحمات والخيرات كما قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥] أي: إلى الحضرة الرحمانية، الجامعة للرحيمية والرحمانية، وينالون جميع أنواع الرحمات والمبرات.

ثم بَيَّن سبحانه صفاتهم وأوضاعهم، وسيرهم وسلوكهم، وعبادتهم ومعاشهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: بسكينة ووقار،

لا بعز واستكبار، لأنهم عباد الرحمن، والعبادة تُعَبِّد شوكة النفس أي: تذللها. فهم متواضعون لله تعالى في سيرهم وسائر أحوالهم، ولا يعني هذا أنهم يتماوتون في مشيتهم، بل يمشون بهمة ونشاط، دونما فخر وتكبر وتجبر.

ولقد كان سيد المتواضعين صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صبب، ويتقلع أي: يمشي بقوة كأنما ينحط من مكان عال، ويمشي بجد واهتمام، وكان صلى الله عليه وآله وسلم سريع المِشْية.

وفي هذا يقول سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنّ الشمس تجري في وجهه، وما رأيتُ أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنَّما الأرضُ تُطوى له، إنا لنُجْهِدُ أنفسنا وإنه لغيرُ مكترثٍ)[1] أي: غير مُجهد نفسه في ذلك.

وهذا لقوة همته وعزيمته صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يعني هذا الركض في السير، بل الهمة والقوَّة مع السكينة والوقار، لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كانت تُطوى له الأرض.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ أي: بكلام فيه جهالة وسفاهة.

﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ أي: أجابوهم بكلام فيه سلام، ولا يقابلون النقص بالنقص، كما أنهم يقولون سلاماً أي: موادعة فَيُسَلِّمون ويتركونهم.

---

(١) ينظر المسند (٢/ ٣٨٠)، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب (٢٦) (٣٦٥٠).

وبعد ما ذكر سبحانه حالهم وسيرتهم في النهار، وأنها كلها سِلْم وأمان، ولين وتواضع، بعد ذلك ذكر حالهم في الليل مع الله تعالى فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ باتَ أي: مرّ عليه الليل، فهم يقومون في الليل يصلون لله سبحانه، وقد وصف سبحانه عباده الذين هم عباد الرحمن وصفهم بقيام الليل، ليبين أنه لا ينال المؤمن مقام الكمال حتى يتحقق بوصف هؤلاء الرجال، ومن جملة ذلك: التهجد في الليل، ولا بد للعبد والسالك إلى الله تعالى من حصة يواظب عليها في الليل لاسيما في الثلث الأخير من الليل، حين يتجلى الرب تبارك وتعالى على عباده بالرحمة والمغفرة والقبول والعطاء.

وفي الحديث[1] عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإذا استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» أي: فقابل هذا القرب والتجلي بقرب منك أيها العبد، وتَحَلَّ بالطاعة لله تعالى، وخاصة بالصلاة له.

وجاء في الحديث[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» ومن فعل ذلك فقد حصل له مضاعفات في القرب حتى يصير من المقربين السابقين.

---

(١) الذي رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (١٢٩) رقم (٣٥٧٤).

(٢) الذي رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة (٨٧٥) وغيرهما.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان: كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[1] أي: إن هذا نقص كبير وخطر عظيم.

وقد ذم الله الرجل الذي لا يقوم شيئاً من الليل، وهو طيلة النهار مشغول في أمور الدنيا:

فقد روى البيهقي في سننه[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يبغض كل جعظري - أي: غليظ - جواظ - أي: كثير الأكل - سخاب بالأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة».

يقول سبحانه وتعالى في فضل قيام الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] أي: أن النفس الناشئة التي نشأت في الليل، ونهضت من فراشها قائمة لربها هي أشد وطأً، أي: أشد موافقة للقلب مع اللسان، فالقلب واللسان يتواطآن، أي: يتفقان في صلاة الليل، وهذا أبعث إلى الحضور مع الله والخشوع له سبحانه، أما نواشئ النهار من صلوات فقد يكون القلب فيها مشغولاً، ولا يحضر القلب مع ما يذكره اللسان.

وأما صلاة الليل فهي صلاة خالصة لربّ العالمين، لا يشوبها

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل (١١٥٢)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر (١١٥٩).

(٢) (١٠/١٩٤).

الرياء والسمعة، ولا شيء هناك من أمر الدنيا يُحرض المصلي على الإسراع في صلاته، أو إشغال قلبه عمَّا يذكره لسانه من: تلاوة وتسبيح، فيكون هذا باعثاً للقلب على الحضور والخشوع.

أو أن المراد من قوله تعالى: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ العمل الناشئ الذي ينشئه الإنسان في الليل، وهو الصلاة والعبادة لله تعالى.

﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أي: عند الله تعالى من فعل النهار، لأنه أقرب إلى الحضور والإخلاص مع ربِّ العالمين.

ولقد ذكر العلماء أن الشيخ أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه ونفعنا به، لمّا كان صغير السنّ ووضعه أبوه في المكتب حتى يتعلم القرآن، مرَّ على سورة المزمل وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ فلما رجع إلى أبيه قال: يا أبتِ مَنْ هذا المزمل الذي أمره الله أن يقوم الليل؟

قال: هذا نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فَلِمَ لا تفعل مثل فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: يابني ذاك نبي الله خصه الله بقوَّة وخصائص لم يخصّ بها غيره.

ثم إنّه في اليوم الثاني مَرَّ على قوله سبحانه في السورة نفسها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ فلما رجع إلى أبيه قال: يا أبت مَنْ هذه الطائفة التي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تصلي؟

قال: هم أصحابه.

قال: لِمَ لا تفعل مثل ما فعل أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال يا بني: أولئك قوم أعطاهم الله قوَّة على القيام.

فقال أبو يزيد: والله لا خير في مَنْ لا يقتدي بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

قال: فصار أبوه يصلي قيام الليل، ثم طلب من أبيه أن يُعلمه قيام الليل.

فقال له: أنت صغير.

فقال: والله لئن حشرني الله وجمع الله الناس لأقولنّ: يا ربِّ إني قلت لأبي عَلِّمني قيام الليل فلم يفعل!

فقال: لا يا بني، ثم علَّمه قيام الليل، وصار يصلي قيام الليل منذ صغره رضي الله عنه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾: المراد إذا أنفقوا على أنفسهم وعيالهم، ومن تجب نفقته عليهم، وليس المراد من الإنفاق الصدقات في سبيل الله تعالى؛ لأنه لا إسراف في الخير.

ولا تفهم من التقتير: البخل، ولا تظن من نفسك أنَّك إذا قترت فأنت من الزاهدين، إذ إن تقتيرك على نفسك من أجل أَنْ تكثر أموالك هو محض الشح والبخل.

أما إذا كان تقتيرك على نفسك واقتصادك في المعيشة من أجل أن تنفق في سبيل الله فأنت من الزاهدين.

وكان سيد الزهاد وإمامهم صلى الله عليه وآله وسلم يُعطي السائل ممَّا هو محتاج إليه وزوجاته، ويؤثر غيره من الفقراء على نفسه صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان سيدنا سليمان وأبوه داود عليهما السلام مع أنهما من الملوك كانا من أئمة الزهاد، فلقد كان سيدنا سليمان عليه السلام يذبح كل يوم ستمائة شاة، وأربعمائة بقرة، ويطعمها للفقراء، ثم يطوي على خبز الشعير.

ثم نفى عنهم سبحانه النقائص الاعتقادية والعملية فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

ثم بين سبحانه جزاء من يفعل ذلك! إن كان كافراً أو فاسقاً فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عذاباً ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ أي: خلوداً مؤبداً إن كان كافراً، وخلوداً مؤقتاً إن كان فاسقاً.

ويضاعف العذاب عليه بتراكمه عليه، فهناك عذاب للكافر بسبب كفره، ويعذب بنوع آخر من العذاب بسبب فسقه، وبنوع آخر من العذاب بسبب ظلمه وبغيه، وهكذا تتراكم عليه أنواع العذاب. وكذلك تتراكم أنواع العذاب على الفاسق، الذي جمع أنواعاً من الفسق؛ لأن لكل معصية وفحش نوعاً من العذاب.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ تاب أي: ترك ما هو

عليه، وآمن أي: آمن حق الإيمان، وأيد صحة الإيمان بالعمل ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لما تبدلت أعمالهم السيئة بأعمال حسنة، فقد تبدلت أوصافهم، ولما تبدلت أوصافهم تبدلت ذواتهم، فمن كان كافراً ثم أسلم فهو بإسلامه تبدل عمّا كان عليه بالأمس، أي: لم تتبدل أوصافه فحسب، بل تبدلت ذاته، بدليل لو كان كافراً ومات على ذلك لما صُلِّي عليه مع المسلمين وهكذا في سائر الأحكام.

ولذلك تراه لما يدخل في الإسلام يُنكر نفسه التي كان عليها في الكفر والجاهلية، وربما ضحك على نفسه لما كان كافراً، ولذلك قال جابر ابن سمرة رضي الله عنه عن بعض الصحابة: (وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويتبسم صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

أي: يذكرون أموراً من سخافات عقلية كانت تصدر منهم في الجاهلية.

ومن هذا ما ذكر عن سيدنا عمر رضي الله عنه لما صنع صنماً من عجوة ثم لما جاع أكله، فلما دخل في الإسلام صار يضحك على نفسه في الجاهلية، فصار عمر رضي الله عنه في الإسلام غير الذي كان في الجاهلية، إذ تبدل عقله وحاله ووضعه ومقاله ومزاجه، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ أي: يبدل الصفات

---

(١) ينظر المسند (٥/٩١)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح (٦٧٠).

السيئة بصفات حسنة، فيبدل زناهم إحصاناً، وتكذيبهم وكذبهم إيماناً وصدقاً وهكذا.

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل من أهل الشرك: ـ وقد قَتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ـ يا رسول الله ما أحسن ما تدعونا إليه لو أخبرتنا أَن لما عملنا كفَّارة. فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية[1].

كما أنه سبحانه يبدل سيئاتهم حسنات في الآخرة أيضاً، إذ إنه سبحانه يجعل مكان كل سيئة تاب منها صاحبها يجعل مكانها حسنة.

وذلك لأن من أذنب ثم تاب توبة نصوحاً، فإن التوبة حسنة كبيرة عند الله تعالى، فلما احترق قلبه من فعل الذنب وندم عليه، غفر الله له ذنبه وأثابه على ندمه وأسفه حسنة وهكذا.

وجاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها فلم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجّة إلا أتاها؛ فهل لذلك من توبة؟ ـ أي: له ذنوب وذنوب هل إذا دخل الإسلام يغفرُ الله له ويكفر عنه ذنوبه؟ ـ.

قال: «فهل أسلمتَ»؟.

قال: فأمَّا أنا فأشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله.

---

(١) ينظر صحيح البخاري، كتاب التفسير (٤٨١٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله (١٢١).

قال: «تفعل الخيرات، وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهنّ».

قال: وغدراتي وفجراتي؟

قال: «نعم» ـ أي: لأنه جاء تائباً منها خائفاً من ربه، وقلبه يتأسف على ما فعل؛ فأعطاه الله على أسفه واحتراق قلبه حسنات ـ.

قال: الله أكبر، فما زال يُكَبِّر حتى توارى[1].

وجاء في الحديث[2] عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن آخر رجل يخرج من النَّار ويدخل الجنة ـ أي: من عصاة المؤمنين ـ يقال فيه للملائكة: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه ثم يبدل مكان كل سيئة حسنة.

وهذا لأنه مات ولم يتب فعوقب في النَّار، ثم أخرج منها، فإنّ دخوله النّار حمله على التوبة والاعتراف والأسف والندم، فعذاب النَّار كَفَّرَ عنه السيئات، واحتراق القلب وندمه أثيب عليه بالحسنات مكان السيئات.

ولا تفهم من هذا أن يتساوى هذا المسيء بإعطائه الحسنات، أن يتساوى مع المحسن الطائع.

واعلم أن المحسن الطائع الذي لم يعمل ما عمله ذاك المسيء،

---

(١) عزاه في مجمع الزوائد (٣٢/١ و١٠/٢٠٢) إلى الطبراني، والبزار بنحوه.

(٢) الذي رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنَّة منزلة (١٩٠) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

يتضاعف له ثواب عمله الحسن أضعافاً كثيرة؛ على حسب عمله، أما ذلك المسيء، فقد أُعطي مقابل كل سيئة عملها حسنة واحدة دونما مضاعفة، ثم إنّ الرجل المحسن الصالح ينال بصلاحه وتقواه درجات عالية في الجنَّة، أما ذاك المسيء لما دخل الجنَّة فقد نال أدنى مكانة فيها، لأنه ليس له سابقة عمل صالح ترفعه أو ترتقي به. فافهم.

والخلاصة: أَن تعلم أيها المؤمن أنَّ من تاب من الذنب تاب الله عليه، وأن من أذنب وتاب من ذنبه فإن توبته تحل محل سيئته بحسنة، وأن تعلم أنّ فضل الله كبير؛ وهذا إذا كان على الإيمان، أما الكافر فهو في جهنم خالدٌ أبد الآبدين.

وأما الأعمال الصالحة فيضاعفها الله تعالى، وكل عمل عمله المؤمن يرفعه الله به درجات، وتبنى له قصور، وينال به مراتب ومنازل، ولا يمكن أن يتساوى المسيء مع المحسن.

قوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ أي: أَكرموا أنفسهم وتنزهوا عن ذلك، ولم يخوضوا كما خاض غيرهم.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: بل خروا عليها خاضعين ساجدين، بقلوب وجلة، وبصائر مفتحة، وعقول نيِّرةٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: ما تَقَرُّ بهم أعيننا في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا بأن نراهم صلحاء أتقياء، وفي الآخرة بأن يكونوا معنا في

الجنَّة. وهذا لأنّ مِنْ صفات أهل الكمال أنهم يسعون في صلاح زوجاتهم وأولادهم ومن يلوذ بهم.

وفي هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَنْ يَعمل لك بالطاعة فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة[1].

وقال الحسن البصري: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله[1].

وأما قرة العين بالزوجات والذرية في الآخرة فقال سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١] أي: أنه سبحانهُ يكرم الفروع ويلحقهم بالأصول إكراماً للأصول وتحقيقاً لدعائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [الطور: ٢١] المؤمنُ يلحق به ذريته ليقر الله بهم عينه؛ وإن كانوا دونه في العمل[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا دخل الرجل الجنَّة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال له: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا ربِّ قد عملت لي ولهم،

---

(١) انظر تفسير الطبري، وابن كثير، والدر المنثور عند تفسير هذه الآية الكريمة.
(٢) كما في تفسير الطبري، وابن كثير، والآلوسي، والدر المنثور للحافظ السيوطي.

فيؤمر بإلحاقهم» وتلا ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾[1].

ولقد بقي سعيد بن المسيب رضي الله عنه أربعين سنة يصلي الفجر بوضوء العشاء ـ ونُقل هذا عن أبي حنيفة رضي الله عنه[2]، وكذلك سائر الأئمة المجتهدين لأنهم كانوا أئمة في العلم، وأئمة في العمل ـ فلما سُئِل سعيد عن ذلك، قال: أنا أعمل لي ولأولادي من بعدي لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[3] [الكهف: ٨٢].

وفي الآية دليل على أن الرجل المؤمن يجب أن يكون عنده غَيْرةٌ على أولاده وذريته، وأن يكون حريصاً على صلاحهم ونفعهم وأن يسأل الله ذلك.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ الغرفة هي: القصر العالي، وَمن حَلَّ في الغرف أشرف على جميع أماكن الجنة وبقاعها، وهذه الغرفات هي التي جاء ذكرها في الحديث[4]، عن علي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنَّة غرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها».

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير والصغير كما في مجمع الزوائد (١١٤/٧)، وينظر في تفسير ابن كثير، والدر المنثور للحافظ السيوطي عند هذه الآية الكريمة.

(٢) كما في تاريخ بغداد (٣٥٤/٣)، ووفيات الأعيان (٤١٣/٥) وغيرهما.

(٣) ينظر ترجمته في طبقات ابن سعد (١١٨/٥) والحلية (١٦١/٢) وغيرهما.

(٤) الذي رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف (١٩٨٥)، وهو في المسند (٣٤٣/٥) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟

قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّى لله بالليل والناس نيام».

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾ تتوارد عليهم الملائكة وفداً بعد وفد بالتعظيم والاحترام والتحية والسلام، ويبلغونهم السلام من ربّ العالمين، وقد يتجلى عليهم ربّ العزة بالسلام بدون واسطة الملائكة، فَيُلَقَّوْنَ التحية والسلام من ربّ العالمين مباشرة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربّ قد أشرف عليهم من فوقهم - أي: تجلى عليهم تجلياً نورانياً في قصورهم ومنازلهم ونعيمهم - فقال: السلام عليكم يا أهل الجنَّة، قال: وذلك قول الله ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾»[1] أي: سلام متوارد على أهل الجنّة، قولاً صادراً من ربّ رحيم، بلا واسطة ملك، ونسأل الله ذلك من فضله. آمين.

※ ومن جملة صفات أهل الجنة ومناقبهم التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وذلك كي يسعى الإنسان أن يتحقق بها ليكون من أهل الجنَّة، ما ذكره تعالى بقوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾

---

(١) ينظر سنن ابن ماجه في المقدمة (١٨٤).

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٤].

فقوله سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ﴾ أي: لا يتساوى صاحب القلب والبصيرة الذي أدرك النور، نور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونور القرآن فآمن وصدق، لا يتساوى مع من هو أعمى القلب، والعمى الحقيقي هو: عمى القلب كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.
[الحج: ٤٦]

فالمؤمن الذي آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعرف الحق الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن؛ لا يتساوى مع الكافر الذي أعرض وجحد وعمي قلبه عن إدراك الحق.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: إن الذي يتذكر بتذكير القرآن، ويعتبر بمواعظ القرآن، ويهتدي بهدي القرآن، وهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويسلك طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هم أولو العقول الكاملة السليمة، التي تحررت من أسر الشهوات والأهواء الباطلة.

فالعاقل الكامل على الحقيقة إنما هو الذي اتبع هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآمن به، وعرف الحق النازل عليه، وأدرك ذلك ببصيرة قلبه، والعقلاء على الحقيقة هم أهل الإيمان؛ وذلك بشهادة ربّ العالمين.

وقد بين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، وأن صاحب العقل السليم المستقيم لا بد له أن يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤمن به، وبما جاء به:

ومن ذلك ما روى الطبراني[1] وغيره، أن رجلاً من بني قُشير يقال له: قرة بن هبيرة، أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان قرة على دين الجاهلية ـ فقال: إنه كان لنا أرباب وربات ـ أي: أصنام كانوا يعبدونها من دون الله، يسمون بعضها ذكوراً وبعضها إناثاً ـ نعبدهن من دون الله، فدعوناهن فلم يُجبن، وسألناهنّ فلم يُعطين، فجئناك فهدانا الله بك، فنحن نعبد الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفلح من رُزِقَ لُبًّاً» أي: أفلح وظفر ببغيته مَن رزق عقلاً سليماً يفكر في الأمور وينظر في العواقب، فلما تَعَقَّلَ قُرَّةُ عرف أن الصنم عبارة عن أحجار لا تُعبد، إنما يُعبد ربّ العالمين، ربّ السماء والأرض، فحمله عقله وفكره على الإيمان فآمن.

قال: يا رسول الله، اكسني ثوبين من ثيابك قد لبستهما ـ أي: لألبسهما متبركاً بهما ـ فكساه، فلما كان بالموقف في عرفات ـ أي: في حجة الوداع ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعد علي مقالتك» ـ أي: حتى يَسمع الناس ـ فأعادها عليه.

---

(١) في معجمه الكبير، ينظر مجمع الزوائد (٩/٤٠١)، وينظر شعب الإيمان للبيهقي (٤/١٥٩) رقم (٤٦٥٤)، وينظر في تاريخ البخاري، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفلح مَنْ رُزِقَ لُبًّا».

ومن ذلك أيضاً[1] لَمَّا جاء خالد بن الوليد رضي الله عنه يعلن إسلامه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما استأذن، ثم قال: السلام عليك يا نبي الله، فَرَدَّ صلى الله عليه وآله وسلم بوجه طلقٍ.

فقال خالد رضي الله عنه: إني أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً ورجوت ألَّا يُسلمك إلَّا إلى خير» أي: أنا أعرف يا خالد لَمَّا كنت أنت في الجاهلية أعرف أن لك عقلاً، لا بد أن يوصلك يوماً ما إلى الإسلام ويُعَرِّفَكَ الحق.

وهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

فالعقلاء على الحقيقة هم أهل الإيمان، لأنهم أدركوا بعقولهم حقية وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به، فآمنوا به واتبعوه، وكلما زاد الإيمان كلما كمل العقل واستقام، ولهذا يقول سبحانه وتعالى في الكفار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١] أي: لو كنا نسمع آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو نتعقل في الدلائل والآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته، ما كنَّا في أصحاب

---

(١) كما في دلائل النبوة للبيهقي (٤/٣٥١).

السعير، فاعترفوا أنهم كانوا يهملون التعقل والتفكر، ولو أنهم سمعوا ما ورد عن الله ورسوله، أو تفكروا في ما خلق الله لأيقنوا أن لا إله إلّا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكنهم صرفوا عقولهم في الأهواء والشهوات والضلالات.

ثم ذكر سبحانه صفات أولي الألباب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾.

أَوّل عَهْد عهده الله إلى عباده، ووثقه معهم، هو عهد يوم: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ في عالم الذر، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: أنت ربنا.

وعالم الذر هو: عالم استخرج الله فيه الذراري من الأصلاب وطَوَّرهم، ولبسهم الأرواح في مثل الذر، ثم استنطقهم وتجلى عليهم، وقال لهم: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾، فقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: أنت ربنا، فاعترفوا له بالربوبية، وأنَّه هو الله، وكيف لا يعترفون وقد خلقهم وتجلى عليهم، ثم إنهم لما جاؤوا إلى الدنيا نسوا ذلك العهد، فأرسل الله الرسل تُذكرهم، وأنزل الكتب كذلك، فمنهم من تذكر فآمن، ومنهم من بقي وجحد، ولذلك يقال لهم: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقد وردت أحاديث كثيرة، تثبت وجود عالم الذر:

منها: ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة»(١).

ومن ذلك ما ورد في المسند(٢)، عن أُبيٍّ بن كعب في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، قال: فإني أُشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأُشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام ـ وكان آدم حاضراً ناظراً ـ أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا ـ أي: كُنَّا عن هذا غافلين ـ.

اعلموا أنَّه لا إله غيري، ولا ربّ غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأُنزل عليكم كتبي.

قالوا: شهدنا بأنَّك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، فأقروا بذلك.

وهذا أول عَهْد عَهِدَ الله سبحانه به إلى عباده، وهو الإقرار بالوحدانية لله تعالى، وأن هناك رُسلاً يرسلها الله تعالى، وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ الوفاء بهذا العهد أن يقوم العبد بحق الربّ عليه؛ وهي: عبادته سبحانه كما أمره.

---

(١) طرف من حديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، ومن سورة الأعراف (٣٠٧٨)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٥).

(٢) (٥/١٣٥).

وربما يقول قائل: لو مرَّ علينا ذلك العالم لتذكرنا!

فيقال له: لقد نسيت، وجاءتك رسل الله تذكرك بذلك، ولكن إذا أنت نسيت فلا يسعك إنكار ذلك العالم، لأن هناك مِنْ بني آدم مَنْ لم يَنس ذلك العالم، وذاك العهد، وهم الأنبياء والرسل، وأكابر الأولياء ومنهم داود الطائي رضي الله عنه، الذي قال: الآن الآن أسمع قول الله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: ومن جملة من استصحب ذلك الحال معه، وبقي معه لِلَطَافَةِ قلبه وروحه: الشيخ داود الطائي رضي الله عنه. ويسمى هذا المقام بمقام الاستصحاب. وهو أن يستصحب الحال الذي مرَّ عليه، والتجليات التي وردت أو تَرِدُ عليه.

وعلى هذا فلست أنت أيها الإنسان مقياساً لجميع بني آدم، وكم ترى من منامات وتنساها، وكم تمر عليك أحوال وتنساها؛ فكيف بك وذاك العالم؟!

ولهذا ذَكَّرَ الله تعالى في القرآن الكريم بذلك العالم وذلك العهد، وإن تذكير الله تعالى أقوى من رؤية العيان، وما عليك إلا أَنْ تُصدق أصدق خلق الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أخبر عن ذلك، ولم ينس ذلك، بل أخبر عن ذلك عن رؤية منه، وعن وحي من الله تعالى له.

وقد يقول بعض المنكرين للآخرة: مَنِ الذي مات ورجع وأخبر عن وجود الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور الغيبية؟

فيقال له: لقد ذهب ورأى وكشف الأمور، وأخبر عنها مَنْ هو

أصدق العالمين، الذي شهدت له أعداؤه بالصدق والأمانة، حتى قالوا له: ما جربنا عليك إلا صدقاً.

فإذا كان إيمانك يتوقف على مَنْ هُو الذي عاين وشاهد وأخبر؟ فاعلم وأَيقِنْ أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أصدق خلق الله؛ هو الذي عاين ذلك، وأخبر عنه، فَصَدِّقْ ما أخبر عنه، وآمن به.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ أي: يصلون ما أمر الله بوصله، **فلقد أمر الله تعالى بوصل من يجب على الإنسان مواصلته: وأول ذلك أن يصل المؤمن إيمانه بالله**؛ أن يصله بالأعمال الصالحة، ولذلك جاءت الآيات دوماً تُخبر أنهم آمنوا وعملوا الصالحات، **ثم أن يصل المؤمن إيمانه بالله تعالى** بكثرة ذكر الله، وكثرة الصدقات والقربات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية: ترزقوا، وتنصروا، وتجبروا.

واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة ـ أي: صلاة الجمعة ـ في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، في عامي هذا؛ إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي أو بعدي؛ وله إمام عادل أو جائر: استخفافاً بها، أو جحوداً لها: فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في

أمره، ألا ولا صلاة له، ولا زكاة له، ولا حج له، ولا صوم له، ولا بر له؛ حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه»[1].

أي: أن مَن ترك صلاة الجمعة منكراً فرضيتها فقد حبط سائر عمله، ولا يُقبل له عمل حتى يتوب.

❊ ومن جملة ما أمر الله به أن يوصل: أنْ يُحْكِمَ المرء صلته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لا غنى له عنه، وذلك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم، ومحبته فوق كل محبوب صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: لأنّ الله تعالى اتخذه حبيباً له، فيجب على المؤمنين بالله أَنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندهم محبوباً فوق كل محبوب.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والنَّاس أجمعين»[2].

أما أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله الأوحد، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: جلس ناس من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم.

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فرض الجمعة (١٠٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧١/٣) وغيرهما.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٧٧/٣)، والبخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٤).

فقال بعضهم: عجباً إنّ الله عزّ وجل اتخذ من خلقه خليلاً؛ اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى؛ كلَّمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله.

فخرج عليهم صلى الله عليه وآله وسلم، فَسَلَّمَ وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم: إنٍ إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نَجِيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك؛ ألا وأنا حبيب الله ـ أي: الحبيب الأول الذي له المحبة والتقريب فوق كل محبوب ومقرب ـ ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يُحرك حلق الجنة؛ فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحبوا الله لما يَغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي»(٢).

ثانياً: إذا كنت أيها الإنسان تحب العالِمَ لعلمه، وتحب الكريم لكرمه، وتحب الصالح لصلاحه، وتحب أهل الكمال لكمالهم وهكذا، فاعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو مجمع الكمالات والفضائل والمحاسن، فيجب عقلاً أن تحبه فوق كل محبوب.

---

(١) رواه الترمذي في أول كتاب المناقب (٣٦٢٠)، والدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل (ص:٢٦).

(٢) رواه الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٣٧٩٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٠).

❊ **ومن جملة ما أمر الله به أن يوصل**: أَنْ يصل المؤمن كل مؤمن بمقتضى الإيمان، وذلك بالسلام عليه، وأن تَبَشَّ في وجهه وتحسن لقاءه.

ثم هناك صلة الرحم وهي: أن يواصل المؤمن أرحامه وإن هجروه أو قطعوه.

وقالوا رضي الله عنهم: إن صلة الرحم أمر واجب في الدين.

وقال بعضهم: هي فرض، وذلك لما ورد في الأحاديث التي تُحذر من قطيعة الرحم.

فمنها ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السَّماء، الرحم شُجنة من الرحمن: فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[(١)].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

قال: نعم! أما ترضين أن أصلَ مَن وصلكِ، وأقطع من قطعك.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٩٤١)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب رحمة الناس (١٩٢٥).

(٢) عزاه في مجمع الزوائد (٨/١٥١) للطبراني.

قالت: بلى يا ربّ.

قال: فهو لك».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ﴾»[1] [سورة القتال: ٢٢].

أي: إنْ وَلَّاكُمُ الله، وصار لكم شوكة ومكانة بين الناس؛ فهل هذا يحملكم على أن تقطعوا أرحامكم تكبراً وتجبراً منكم؟

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنَّة قاطع»[2] أي: قاطع رحم حتى يطهر ويكمل.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: «صلْ قرابتك وإن قطعوك»[3].

فالمواصل هو الذي يصل من قطعه.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: أنهم يخشون الله بالغيب لأنهم دائماً على مراقبة لله سبحانه في جميع أمورهم.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: يخافون الحساب أن يساء فيهم، وذلك أن تذهب حسناتهم بالتدقيق والتحقيق بلا عفو أو مجاوزة، فلا ينالون المغفرة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله تعالى (٥٩٨٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم (٢٥٥٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم (٢٥٥٦).

(٣) طرف من حديث طويل رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٤/٢١٦).

وقد أخبر سبحانه عن الكفار أن لهم سوء الحساب، أما أهل الإيمان فيخافون سوء الحساب.

وإن الله تعالى يحاسب المؤمن الكامل حساباً يسيراً، وهناك قسم لا يحاسب أبداً، أما من جرى عليه التدقيق في الحساب فقد هلك، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نوقش الحساب عُذِّبَ»[1].

فلما يريد سبحانه أن يتفضل على المؤمن يتجاوز عن كثير من سيئاته، كما قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: صبروا على أحكام الله التكليفية الشرعية وهي عبادته سبحانه، وعلى أحكام الله القضائية القدرية.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: أنه لما يقتضي الأمر منهم أن يعلنوا ويظهروا الصدقة فعلوا ذلك، ولما يقتضي الأمر الإسرار فإنهم يخفونها عن الناس.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون بالحسنة السيئة، فإن تعرض أحدهم لأذى قابل ذلك بالحسنى، فهم لا يقابلون السوء بالسوء، كما أنهم إذا صدرت منهم سيئة دفعوها بالحسنة حالاً، فإن وقع

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجعه حتى يعرفه (١٠٣)، ومسلم آخر كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧٦)، وأبو داود في أول كتاب الجنائز (٣٠٩٣)، والترمذي (٣٣٣٢).

من أحدهم ذنب لجأ إلى التوبة فوراً، ويفعلون عملاً مرضياً عند الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العقبى المحمودة في جميع العوالم، فلهم عقبى الدار في كل دار دخلوها، وأعظم عقبى الدار ما جاء في الآية: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ فألحق الله بهم فروعهم ومن يحبون إكراماً لهم، وقرّة عين لهم، حتى يكمل نعيمهم ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ ويقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ فلما حلوا قصور الجنَّة بعزة وكرامة، تواردت عليهم الملائكة حتى تحييهم وتسلم عليهم تكريماً؛ لأن أهل الجنَّة هم الملوك على الحقيقة.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنَّة، وعنده سماطان من خدم ـ أي: صفان ـ وعند طرف السماطين باب مبوب، فَيُقْبِلُ الملك ـ أي: ملك له شأن ـ من ملائكة الله يستأذن، فيقوم أدنى الخدم إلى الباب، فإذا هو بالملك يستأذن، فيقول للذي يليه: هذا ملك يستأذن، ويقول للذي يليه حتى يبلغ أقصاه المؤمن، فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٥٣/٥)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس (١٩٨٨).

له، فيقول الذي يليه للذي يليه، وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له، ثم يدخل، فيسلم ثم ينصرف[1].

فما أعظم كرامة المؤمن عند الله تعالى، وما أعظم مقامه عند الله سبحانه.

*** ومن جملة ما ذكر سبحانه في صفات أهل الجنة ونعيم أهل الجنة قوله سبحانه:** ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

بعدما ذكر سبحانه لذائذ الدنيا ونعيمها بقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال سبحانه: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: هل أخبركم عمَّا هو خير من نعيم الدنيا ولذائذها؟ ثم بَيَّن سبحانه ما هو ذلك الخير والنعيم الحقيقي، الذي لو نَسَبْت إليه نعيم الدنيا لرأيته متلاشياً فقال: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾.

---

(١) ينظر الزهد والرقائق لابن المبارك، وصفة الجنة لابن أبي الدنيا.

وقد بَيَّنَ صلى الله عليه وآله وسلم نسبة نعيم الدنيا إلى نعيم الجنَّة، فقال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلَّا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه ـ وأشار راوي الحديث بالسبابة ـ في اليَمِّ فلينظر بم ترجع»[1].

فما هي نسبة ما أخذته الإصبع من الماء من ماء البحر؟ إنها نسبة حقيرة لا تعادل شيئاً، وكذلك نعيم الدنيا بقصورها وزروعها وأموالها وما فيها من لذائذ بالنسبة إلى نعيم الجنة.

كما أن نعيم الدنيا نعيم زائل نسبي جزئي، أما نعيم الآخرة فهو باق حقيقي كلي، لأنك لو حققت في نعيم الدنيا لوجدته دفع الآلام: كدفع ألم الجوع بالطعام، وألم العطش بالشراب وهكذا.

أما نعيم الجنة فنعيم حقيقي ليس فيه دفع آلام أو مكاره، ولذلك قال الله تعالى لآدم عليه السلام لما أسكنه الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

أي: أن نعيم الدنيا جزئي، فربما تأكل وتتلذذ بالطعام ويكون فيك من الهموم والأحزان ما فيك، حتى ولو لم يكن فيك شيء من هذا فيكفيك حزناً وهماً لو تذكرت مَنْ مات من أهلك وأقاربك، وهذا يدل على أن نعيم الدنيا نعيم جزئي لا يعم الحواس والمدارك بآن واحد.

أما نعيم الجنَّة فنعيم مُطلق، يعم جميع المدارك والحواس كما قال

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٢٩)، ومسلم في كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا... (٢٨٥٨) عن سيدنا المستورد بن شداد رضي الله عنه.

سبحانه: ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] فاجتمع لهم النعيم الجسماني من مآكل ومشارب وقصور وحور، مع النعيم القلبي الروحاني وهو الأمان والفرح والسرور.

ولذلك قال سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: قل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن يركن إلى الدنيا ويتنعم فيها: أأخبركم بخير منها ومِنْ لذائذها؟ إنه نعيم الجنة المطلق، الذي لا يشوبه كدر ولا يخالطه هَمّ أو حزن، وهو ﴿جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بينما الدنيا لا خلود فيها.

﴿وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ أي: مطهرة من الخُلق السيء، ويشمل هذا زوجة المؤمن في الدنيا لأنها لا تدخل الجنَّة حتى تطهر وتطيب وتتكمل، كما أنهن مُطهرات من دنس الحيض.

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وذكره بعدما ذكر ألواناً من النعيم، فذكر النعيم الجسماني ﴿وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ وذكر نعيم المناظر ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وذكر نعيم العقول واطمئنانها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فلا هَمّ يعتريهم بسبب موت سابق أو لاحق.

ثم ذكر نعيماً خاصاً يشمل الروح والقلب وجميع الذرات، وهو رضوان الله الذي يَحل على أهل الجنَّة، وهذا النعيم أعظم وألذ من كل نعيم حسي كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: ورضوان يتجلى به الله على أهل الجنَّة أكبر من ثمارها وأشجارها وقصورها وحورها.

كما في الحديث[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنَّة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك.

فيقول هل رضيتم؟ - أي: بما أعطيتم - فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك.

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟

فيقولون: يا رب وأيّ شيء أفضل من ذلك؟

فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» فينالون من تجليات الله تعالى الرضوانية المستمرة أبد الآبدين.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ بصير بهم وبإخلاصهم وصدقهم، ويعطي كلاً منهم على حسب مقامه.

ثم بين سبحانه صفات هؤلاء الذين اتقوا: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أي: آمنا بأنك أنت ربنا ونحن عبادك، والإيمان هو: التصديق الجازم الذي لا يقبل الشك أو الارتياب. وَمَنْ كان من أهل التصديق باليقينيات المسلّمة؛ فيجب أن يكون إيمانه بالله وقدرته أشد يقيناً، لأنك لو مررت على بناء وآمنت بوجوده، فأنت بوجود الباني أشد إيماناً، بل ولا ترتاب أن هناك بانٍ بناه. ولذلك لابدَّ للحركة من محرك، وللموجودات من مُوْجِدٍ، فكيف وهذا الكون بأجرامه وسماواته وأرضه، فلابد له من خالق قدير عليم حكيم، وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنَّة والنار (٦٥٤٩)، ومسلم في أول كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٢٩).

﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ وفي هذا تنبيه للمؤمن أن يهتم بمغفرة ذنوبه، وأن يسأل الله ذلك، ولا يخلو مؤمن من ذنوب وصغائر، ولهذا عَلَّمَنَا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف نطلب المغفرة من الله من ذنوب نعرفها أو لا نعرفها؛ لأن المرء قد يجهل ذنوب نفسه، ولا يرى عيوبها، كما ورد في الحديث في دعائه صلى الله عليه وآله وسلم معلماً لأمته: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلَّا أنت»[1].

وقد سألوا مغفرة الذنوب لأن لها عواقب أليمة في الآخرة، ولها قواطع في الدنيا، وهذا لأن الذنب له أثر ظلماني على القلب، وإذا كثرت الذنوب ولم يتب صاحبها منها ويستغفر ربه، فإنه يُظلِم قلبه، ويعلوه الران كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ لأن النار نار الله، فهي لا تحرق من ذاتها، ولا تخيف من ذاتها، بل إنها نار الله؛ يُعذب بها من أشرك به وعصاه. كما أنك لا تخاف من السيف المعلق، بل تخاف من اليد التي ستضرب بالسيف فافهم.

---

(١) ينظر صحيح البخاري، كتاب الدعوات باب (٦٠) حديث رقم (٦٣٩٨) وهو طرف من حديث رواه البخاري في أول كتاب التهجد (١١٢٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة (٣٤١٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فالخوف من النَّار هو على الحقيقة خوف من ربها وهو الله سبحانه.

وقد وصف صلى الله عليه وآله وسلم نار جهنم بقوله: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم ـ أي: أشد النار حرارة في الدنيا ـ جزء واحد من سبعين جزءاً من حرّ جهنم»[1].

ويكفي أن جهنم موضع غضب الله وسخطه، وفيها ألوان من العذاب. ونسأل الله العافية ولذلك قالوا: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معشر المسلمين، ارغبوا فيما رَغَّبَكُمُ الله فيه، واحذروا مما حذركم الله منه، وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم؛ فإنها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم»[2].

أي: فلا ماء يُشرب، ولا أرض تنبت؛ فلا حياة تبقى.

ثم بين سبحانه جملة من صفات أهل الجنَّة فقال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٣١٣)، والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٥)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر نار جهنم (٢٨٤٣) وغيرهم.

(٢) ينظر البعث والنشور للحافظ البيهقي.

(٣) انظر تفصيل ذلك عند الكلام على الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ والبحث في مقامات أهل الإيمان، في الجزء الرابع من كتاب (حول مواقفه ﷺ مع العالم) للشيخ الإمام رضي الله عنه.

ومن مراتب الصدق: أن يعامل المؤمن الناس بالصدق في بيعه وشرائه ومعاهداته، ومن الصدق في بيعه أن تكون نيته نفع نفسه ونفع المشتري دون غش أو تلاعب، وكذلك المشتري أن تكون نيته نفع نفسه ونفع البائع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «البَيِّعَان بالخيار ما لم يتفرقا» - أو قال[1]: «حتى يتفرقا» - فإن صدقا وَبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما»[2] فَصِدْق البائع أن تكون نِيَّتُهُ نفع نفسه، ونفع المشتري، وإن كذب أحدهما أو كلاهما، وكتم عن الآخر سوء نيته، أو أخفى عذراً في بضاعته، مُحِقَتِ البركة في بيعهما، كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[3].

وفي رواية[4] عن ابن عمر رضي الله عنهما: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة».

ونسأل الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) عند البخاري (٢٠٧٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا بَيَّنَ البَيِّعَان (٢٠٧٩)، ومسلم في البيوع، باب الصدق في البيع والبيان (١٥٣٢) عن سيدنا حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي في أول كتاب البيوع (١٢٠٩).

(٤) عند ابن ماجه في أول كتاب التجارات (٢١٣٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة السابعة:

حول صفات أهل الجنَّة في القرآن الكريم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن من جملة صفات أهل الجنة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم: الخشية من الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧-٨].

وإليك بياناً موجزاً لمعنى الآية، ثم تفصيل البحث في الخشية من الله تعالى، وأسبابها وفضائلها:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وأحق ما يجب الإيمان به واليقين بوجوده إنما هو وجود الله تعالى.

والإيمان هو: التصديق الجازم الذي لا يخالطه أيّ شك أو ارتياب.

وإذا كان الإنسان يوقن بِعدَّة من اليقينيات الموجودة: كالسماوات والأرض، والشمس والقمر والكواكب؛ لأنه يراها بعينه، فَمَن كان من أهل اليقين باليقينيات، ومن أهل التصديق بالمسلمات؛ فيجب أن يكون موقناً بوجود الله سبحانه، لأن هذه اليقينيات الموجودة لابدّ لها من مُوْجِد، ولأن من أيقن بوجود البناء فهو موقن بوجود العوالم السماوية والأرضية والبحرية، فيجب أن يكون قد أيقن بوجود خالقها وهو الله جلت قدرته.

فَمَن كان موقناً بما يجب اليقين به؛ فيجب أن يكون موقناً بوجود الله سبحانه، لهذا يقول سبحانه في تلقين الحجة لموسى عليه الصلاة والسلام على فرعون وكل منكر: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

أي: إن كنتم من أهل اليقين بوجود الأرض والسماء وما بينهما من: شمس وكواكب وأفلاك، فالواجب أن توقنوا بوجود الله تعالى على وجه أعظم من يقينكم بوجود اليقينيات، وأن تصدقوا وتعتقدوا به إن كنتم من أهل التصديق بالمسلمات، لأن كل هذه العوالم موجودة مصنوعة محدثة، ولابد لها من مُوجد ومُحْدِث، فاليقين بوجود صانعها وخالقها، وبوجود الذي أوجدها وخلقها ألزم وأجدر، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: آمنوا بالله حق الإيمان، وبكل ما جاء عن الله، وصححوا إيمانهم بالعمل الصالح، وهو: العمل

الخالص لله تعالى، والذي يَصلح للمؤمن أن يلقى به ربه، ويصلح أن يتقرب به إلى الله تعالى.

والعمل الصالح هو: كل عمل شرعه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ سواء بالوحي القرآني أو الوحي النبوي.

ومن هنا تفهم أيها الإنسان أنه لابدَّ للإيمان من عمل، كما أن الإيمان والعمل هما موضعا الاعتبار والنظر عند ربِّ العالمين.

ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1] أي: إن موضع نظر الاعتبار ونظر الكرامة والرحمة عند الله سبحانه هو القلب وما فيه من إيمان، والعمل وما فيه من صلاح.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ أي: البريئة التي برأها الله تعالى، وخلقها الله تعالى، فالمؤمنون الذين يعملون الصالحات هم خير ما برأ الله وخلق، وأما الكفار فهم شر ما خلق الله وبرأ كما قال عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

قال الله تعالى في المؤمنين: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: جنات إقامة وخلود ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ أي في ألوان

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٨٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم... (٢٥٦٤).

من النعيم الدائم؛ الذي لا يحول ولا يزول ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: فيما عملوه وفيما تقربوا به إلى الله، فرضي سبحانه عنهم رضاً لا سخط بعده.

كما في الحديث القدسي، أن الله يقول لأهل الجنَّة: «أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ أي: رضوا عنه في الدنيا؛ أي: عن دينه وشرعه.

وجاء في الحديث: «ما من عبد يقول حين يمسي وحين يصبح: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً؛ ثلاث مرَّات: إلَّا كان حقاً على الله أن يرضيه»[2].

رضوا عنه في البرازخ، ثم دخلوا الجنَّة، فأعطاهم حتى رضوا؛ فرضي الله عنهم ورضوا عنه، فهم راضون مرضيون، وفي هذا غاية الطمأنينة، وسكينة النفس، وهو أن أهل الجنَّة راضون، وهذا من أعظم ألوان نعيم الجنَّة، أما الإنسان في الدنيا فقد ينعم من جهة ولا يرضى من جهة، وقد ينعم من جهة ويتألم من جهة وهكذا، وأما أهل الجنة فهم في النعيم الدائم، والرضا الكامل، فلا هَمَّ ولا غَمَّ، ولا خوف ولا حزن.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الجزاء والثواب ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: لعبد مؤمن خشي ربه سبحانه، وفي هذا تنبيه إلى أنّ العبد يجب عليه أن يخشى ربّ العالمين؛ باعتبار أن العبد عبد والربّ ربّ، والربّ يُخشى منه سبحانه وتعالى.

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٨٣).

(٢) كما في المسند (٣٣٧/٤)، وسنن ابن ماجه كتاب الدعاء (٣٨٧٠) عن خادم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فالخشية مقام من مقامات أهل الجنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖ﴾ [ق: ٣٣- ٣٤].

الخشية من الله تعالى

أسبابها - فضائلها

معنى الخشية من الله تعالى: هي خوف من الله تعالى مقرون بعلم ومعرفة بالله سبحانه، من حيث عظمته وقدرته وحكمته وكمالاته سبحانه، وعلى قدر علم المؤمن بالله وعظمته وسلطانه تكون خشيته من الله سبحانه، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] أي: أن العلماء بربِّ العالمين هم أهل الخشية من الله سبحانه، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أعرف خلق الله بالله، وأعلمهم به، كان هو صلى الله عليه وآله وسلم أعظم العالمين خشية من الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والله إنِّي لأعلمكم بالله عزَّ وجلَّ وأخشاكم له»[1] وهذا لأن الله سبحانه أطلعه على أمور لم يُطْلِعْ عليها أحداً من خلقه، فكيف لا يكون أخشى العالمين من الله تعالى؟.

(١) الحديث في المسند (١٢٢/٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو عند مسلم (١١٠٨)، بلفظ: «أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحقّ لها أن تئط ـ أي: ظهر لها صوت من ازدحام الملائكة فيها ـ ما فيها موضع أربع أصابع إلَّا وملك واضع جبهته ساجداً» لأن الملائكة أجسام نورانية لطيفة لا تتحيز بمكان، وقد يتسع المكان الضيق لعدد كبير من الملائكة دون تزاحم أو تضارب.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والله لو تعلمون ما أعلم: لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات ـ أي: الصحراء ـ تجأرون ـ أي: تضجون وتلجؤون ـ إلى الله»[1].

وفي رواية[2] ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت الجنَّة والنار».

وهذا الحديث يدل على أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقاس بالنَّاس، لأن الله تعالى خصه بالخصائص والفضائل العالية، التي رفعته عن مستوى سائر الناس، ولذلك قال: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون».

ومن جملة ما كان يسمع صلى الله عليه وآله وسلم: تسبيح

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٧٣/٥)، والترمذي في السنن، في كتاب الزهد (٢٣١٣).

(٢) طرفٌ من حديث رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود (٤٢٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

الجمادات، وتسليم الأحجار والأشجار عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وعذاب المقبورين ونعيمهم وغير ذلك.

ولقد أمده الله تعالى بقوة، وخصَّه بالاستعداد والقابلية لتحمل ذلك، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» أي: لتغير الحال بكم لعدم طاقتكم لذلك، أما هو صلى الله عليه وآله وسلم فقد خصه الله تعالى بقوة كبيرة ما نالها أحد من العالمين.

وخصه بخصائص جسمية وعقلية وقلبية وروحية؛ ما نالها أحد من خلق الله سبحانه، ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يواصل الصيام أحياناً ـ أي: النهار بالليل ـ فواصل الصحابة فنهاهم، فقالوا: إنك تواصل.

قال: «إني لست مثلكم إني أُطعَم وأُسْقَىٰ»[1].

وفي رواية[2] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويَسقينِ».

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠] أي: أنا بشر لكن فوق مستوى البشر بسبب مقام: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ فله الخصائص

---

(١) كما في مسند الإمام أحمد (٢/١٠٢)، وصحيح البخاري، كتاب الصوم، باب بركة السحور (١٩٢٢)، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال (١١٠٢)، عن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) عند البخاري، في كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال (١٩٦٥)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال (١١٠٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

والكمالات العالية التي رفعته عن مستوى البشر حتى قال: «إني لستُ مثلكم».

ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يسمع تسبيح السماوات فقال: «سبَّحت السماوات العلى من ذي المهابة؛ مشفقات لذي العلُو بما علا، سبحان العلي الأعلى»[1].

ومن جملة ما كان يرى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يرى الملائكة صاعدة نازلة، ورأى جبريل عليه السلام، له ستمائة جناح سد الآفاق ما بين السماء والأرض[2].

ولقد ثبت صلى الله عليه وآله وسلم لتجلي ربّ العزّة عليه، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] أي: ما حار بصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاوز المنظور إليه، بل بقي ثابتاً متمكناً بقوة كبيرة من الله جلت قدرته؛ أمده بها.

ومن هذا كله تعلم أيها الإنسان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر لا كالبشر، ولا يقاس بالبشر، بل له الاستعدادات العالية، والخصائص التي لم ينلها أحد من خلق الله تعالى.

ومن لم يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخصائصه التي

---

(١) طرف من حديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد (٧٨/١) عن سيدنا عبد الله بن قُرط رضي الله عنه.

(٢) كما في المسند (٣٩٨/١)، وصحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب (٧) (٣٢٣٢)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهىٰ (١٧٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

خصه الله تعالى بها، فما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما صح إيمانه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

* أسباب الخشية من الله تعالى:

لما كانت الخشية من الله تعالى هي الخوف المقرون بالعلم والمعرفة بالله تعالى، فإنّ أسباب ودواعي الخشية منه سبحانه هي أن يستحضر المؤمن في قلبه عظمة الله تعالى، وأن يُشهد قلبه كبرياء الله وسلطانه، ومن لم يستطع ذلك لضعف في قلبه فليراقب أن الله تعالى يراه ويطلع عليه، أي: أن يكون المؤمن إما مشاهداً لربّه بقلبه؛ كأنه يراه بعينه، أو أن يكون مراقباً مراقبة الله تعالى عليه، وهذا ما بَيَّنَهُ حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أناس، إذ جاء رجل ليس عليه سحناء سفر، وليس من أهل البلد ـ وفي راوية[1]: شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد ـ يتخطى حتى وَرِكَ ـ أي: اعتمد على وركه، وهو ما فوق الفخذ، كما في النهاية ـ فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا محمد! ما الإسلام؟

قال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وأن تتم الوضوء، وتصوم رمضان».

---

(١) أول صحيح مسلم، كتاب الإيمان حديث رقم (٨).

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟

قال: «نعم»، قال: صدقت.

قال: يا محمد! ما الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنَّة والنَّار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟

قال: «نعم»، قال: صدقت.

قال: يا محمد! ما الإحسان؟

قال: «الإحسان: أن تعمل لله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه فإنه يراك»[1] أي: أن تخشى الله وأنت تشاهد عظمة الله بقلبك كأنك تراه بعينك «فإن لم تكن تراه» أي: إن لم يكن عندك قوّة على المشاهدة القلبية للعظمة الإلَهية «فإنه يراك» أي: فراقب أنه هو سبحانه يراك. فمن أشهد قلبه عظمة الله وكبرياءه خشي هذا القلب، وخشي صاحبه من الله تعالى، لأن الخشية خوف مقرون بمعرفة، إما عن طريق الشهود القلبي، أو عن طريق مطالعة آيات الله سبحانه الآفاقية والكونية، أو بمطالعة آيات الله القرآنية، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ وهو القرآن الذي يكلم الله به عباده ويحدثهم به ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً ﴿مَّثَانِيَ﴾ أي: ذكر فيه كل شيء صنفين متقابلين،

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان (١٧٣).

فذكر حال أهل الجنة وحال أهل النَّار، وحال الأبرار والفجار، وذكر الأمور المتقابلة كالليل والنَّهار، كما ذكر صفات الخالق وصفات المخلوق، وصفات أهل الإيمان وصفات الكفار، وعواقب هؤلاء وعواقب هؤلاء، وذكر محاسن الأوامر الإلَهية، وذكر محاذير النواهي الشرعية، وهكذا ذكر سبحانه من كل شيئين متقابلين، ثم قال سبحانه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠] بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حنينهم بكى معهم، فبكينا ببكائه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنَّة مُصِرٌّ على معصية الله»[1] أي: مَنْ مات ولم يتب وهو مُصر على المعصية فإنه لا يدخل الجنَّة حتى يتطهر من معاصيه وذنوبه في برازخ الآخرة، وإذا لم يطهر لابدّ له من غمسة في جهنم، حتى إذا تطهر وطاب أُخْرِجَ من النَّار وقيل له: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] لأن الجنة لا يدخلها إلا الطيب الطاهر.

اللهم اجعلنا منهم بفضلك وكرمك ياأكرم الأكرمين.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٨).

* آثار الخشية من الله تعالى وفضائلها:

إن الخشية من الله تعالى تحمل الإنسان على التزام أوامر الله تعالى، وعلى مراقبة الله تعالى في جميع الأمور، وأن يحاسب العبد نفسه على أقواله وأفعاله.

ومن اشتدت فيه الخشية من الله تعالى فإنّ عينه تبكي، وجلده يقشعر، وجوارحه تخضع، وتضطرب النفس فزعاً مِنْ تقصيرها.

ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وفي الحديث[1]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «عينان لا تمسهما النَّار: **عين** بكت من خشية الله، **وعين** باتت تحرس في سبيل الله».

وفي رواية[2]: «عينان لا تمسهما النَّار: **عين** بكت في جوف الليل من خشية الله ـ وقد خص جوف الليل لأنه أبعد عن الرياء ـ **وعين** باتت تحرس في سبيل الله».

---

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٦٣٩).

(٢) عند الطبراني كما في مجمع الزوائد (٥/٢٨٨) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، والبيهقي في الشعب (٧٩٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا ترى أعينهم النَّار ـ أي: لا تراها رؤية العذاب ـ **عين** حرست في سبيل الله، **وعين** بكت من خشية الله، **وعين** غَضّت عن محارم الله»[1] أي: غض صاحبها بصره عَمَّا حرَّم الله تعالى.

وإن الخشية من الله سبحانه تحط عن الإنسان ذنوبه؛ وذلك على مقدار خشيته من ربه، كما في الحديث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تَحَاتَّتْ عنه ذنوبه كما يَتَحَاتُّ عن الشجرة البالية ورقها»[2].

وإن الخشية من الله تعالى تجعل صاحبها في أمان الله تعالى.

كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله، وذكر منهم: «رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[3].

وإن صاحب الخشية من الله تعالى يعم خيره إلىٰ من حوله: فعن

---

(١) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٨٨/٥) عن سيدنا معاذ بن حيدة القشيري رضي الله عنه.

(٢) أورده الحافظ أبو نعيم في معرفة الصحابة، وعزاه في مجمع الزوائد (٣١٠/١٠) للبزار.

(٣) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٤٣٩/٢)، والبخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر... (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

الهيثم بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس فبكى رجل بين يديه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو شَهِدَكُم اليوم كل مؤمن عليه من الذنوب كأمثال الجبال الرواسي لغفر لهم ببكاء هذا الرجل، وذلك أن الملائكة تبكي وتدعو له وتقول: اللهم شفع البكائين فيمن لم يبك»[١].

وإن صاحب الخشية من الله تعالى يصير في أعلى مراتب العبودية والعبادة لله تعالى، فقد جاء في الحديث[٢]: «أن الله تبارك وتعالى ناجى موسى عليه السلام قال: يا موسى. لَمْ يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عمَّا حرمت عليهم، ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ، ويا إله البرية كلها، ويا مالك يوم الدين، ويا ذا الجلال والإكرام ماذا أعددت لهم؟ وماذا جزيتهم؟

قال: **أما الزاهدون** في الدنيا فإني أمنحهم جنتي يتبوَّءون منها حيث شاؤوا، **وأما الورعون** عمَّا حرَّمت عليهم، فإذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلَّا ناقشته الحساب، وفتشت عمَّا في يديه إلَّا الورعون، فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب، **وأما الباكون** من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركهم فيه أحد».

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨١٠).

(٢) الذي رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٢٠٣/٨ و٢٩٦/١٠)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

* **ومن صفات أهل الجنة أيضاً**: قيام الليل والتهجد فيه، وهو شأن وديدن أهل الصلاح الخاص، وهو أيضاً من صفات المقربين بالصلاح الخاص، أما الصلاح العام فهو صلاح الأبرار الذين هم أصحاب اليمين، وقد يوجد بعض الصلاح العام عند المُخَلِّطِين.

وأما الصلاح الخاص فهو المراد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

والمراد بالصالحين: أهل الصلاح الخاص، الذين تحققوا بصلاح الظاهر والباطن في: الأعمال والأقوال، والأخلاق والآداب.

وما سمي الصالح صالحاً إلَّا لصلاحه لقرب الحضرة الإلَٰهية، ولأنه صالح أن يتجلى عليه الربّ سبحانه وتعالى، والصالح لتلك المراتب العالية.

ومن أهم أعمال أهل الصلاح الخاص: التهجد وقيام الليل، والتهجد هو: ترك الهجود ـ أي: النوم ـ والنهوض إلى الصلاة وعبادة الله تعالى، وليس مَنْ صلى قَبْل أن ينام ليس له أجر وثواب المتهجدين الذين ينامون ثم ينهضون للصلاة، وعبادة الله سبحانه، لأنّ التهجد أشد على النفس، ويدل على صدق الإيمان وقوته، وهو أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الإخلاص؛ فهو أرجى للقبول.

وقد ورد في الأحاديث أَنّ مَنْ واظب على قيام الليل مُخلصاً في عمله لله تعالى؛ فإنه يَلتحق بالصالحين لأنه سلك طريقهم ولبس شعارهم.

فعن بلال رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليكم بقيام الليل فإنه: دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[1].

وقد بَيَّنَ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ مَنْ واظب على قيام الليل فقد اتصف بالصلاح الخاص:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى رؤيا ـ أي: في المنام ـ قَصها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أي: حتى يُعبرها له ـ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكنت غلاماً شاباً أعزب ـ أي: غيرَ متزوج ـ وكنت أنام في المسجد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر ـ أي: كالبئر المحفور العميق وما لها جوانب ـ وإذا لها قَرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم ـ أي: من المنافقين ـ فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فَلَقِيَهُمَا ملك آخر فقال لي: لن تُراع ـ أي: لا خوف عليك ولا فزع ـ وفي رواية[2] فلقينا ملك آخر فقال لي: لَمْ تُرَعْ.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٤٣).

(٢) عند البخاري أول كتاب التهجد (١١٢١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٨).

فَقَصَصْتُها على حفصةَ رضي الله عنها، فقَصَّتْهَا حفصة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل».

وفي رواية[1] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يصلي من الليل».

قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلّا قليلاً[2].

وكثيراً ما كان يجهد نفسه في الصَّلاة في الليل حتى يتعب، ثم يضطجع وقلبه يخفق كخفقان الطير.

واعلم أنه وإن كان ظاهر هذه الرؤية فيها التخويف والفزع لعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، إلَّا أن وراءها حكمة وموعظة إلَهية له؛ جعلته من المقربين الصالحين، والشاهد في هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إن عبد الله ـ أي: ابن عمر ـ رجل صالح لو كان يصلي من الليل» أي: بالصلاح الخاص، المراد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه[3] قال: كنت مع النبي صلى الله

---

(١) عند البخاري في كتاب التعبير، باب الإستبرق ودخول الجنَّة (٧٠١٦)، والترمذي في كتاب المناقب (٣٨٢٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٤٦/٢)، والبخاري في أول كتاب التهجد (١١٢١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣١/٥)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٩).

عليه وآله وسلم في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على مَنْ يَسَّرَهُ الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت».

ثم قال: «ألَا أدلك على أبواب الخير ـ أي: قُربات إلى الله زيادة على هذه الفرائض ـ الصوم جُنَّةٌ ـ أي: صوم النوافل ـ والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماءُ النار، وصلاة الرجل من جوف الليل».

وفي رواية[1]: «وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين» أي: لباسهم الذي استشعروا به ولبسوه على شعورهم وجسمهم.

والشعار هو: ما يُلبس على الجسم مباشرة، والدّثار ما يلبس فوق الشعار.

ولذلك جاء في الحديث: «الأنصار شعار، والناس دثار»[2].

قال معاذ رضي الله عنه: ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

---

(١) كذا في الترغيب للحافظ المنذري، وجامع الأصول لابن الأثير، وينظر في سنن الترمذي (٧/ ٢٨٠).

(٢) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٤٢)، والبخاري في المغازي، باب غزوة الطائف (٤٣٣٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (١٠٦١) عن سيدنا عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

أي: فلا تعلم نفس هذا شأنها، تقوم الليل وتتجافى عن المضاجع؛ فلا تعلم ما أخفى الله لها من النعيم الذي تقر به عينها.

وفي الحديث[1]: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة: الصلاة في جوف الليل».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشراف أمتي: حملة القرآن وأصحاب الليل»[2].

*** قوَّام الليل يدخلون الجنَّة بغير حساب:**

جاء في الحديث[3] عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة، فينادي مناد فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون ـ وهم قليل ـ فيدخلون الجنَّة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر النَّاس إلى الحساب».

فإذا دخلوا الجنَّة نالوا الدرجات العالية المشرفة على غيرها:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها ـ أي: شفافة مشرفة ـ أعدّها الله لمن: أطعم الطعام، وأَلَانَ الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى والناس نيام»[4].

---

(١) الذي رواه الإمام مسلم في كتاب الصيام، باب فضل صوم المُحْرِم (١١٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٧٠٣).

(٣) الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٤٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٣٤٣).

وفي رواية[1]: «وأفشى السلام».

وإن قائم الليل يباهي الله به ملائكته، كما ورد في الحديث[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عجب ربنا عزَّ وجل من رجلين ـ وذكر منهما ـ رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحَيِّهِ إلى صلاته، يقول ربُّنا: أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه، ومن بين حَيِّهِ وأهله إلى صلاته؛ رغبة فيما عندي وشفقة ممَّا عندي».

وممَّا يدل على أنّ المواظبة على قيام الليل تجعل صاحبها من جملة المقربين؛ ما ورد في ثوابهم، وذلك أن ثوابهم لا يَعلم حده وحقيقته إلَّا الله تعالى:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين: ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[3].

فالمراد بقوله: «أعددتُ لعبادي الصالحين» أي: بالصَّلاح الخاص وهم من جملة المقربين.

---

(١) عند ابن حبان (٥٠٩).

(٢) الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٤١٦/١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٤٨) وغيرهما.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٣٨/٢)، والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٤)، ومسلم في أول كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

وقد أثنى الله سبحانه على قُوَّامِ الليل فقال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] أي: أنهم قاموا وصلوا، ثم ختموا صلاة الليل بالاستغفار وقت الأسحار قبل الفجر.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر بآخر السَّحَرِ سبعين مرَّة»[(١)].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يرغِّب الصحابة بصلاة الليل ويحضهم عليها:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة الليل ورغب فيها، حتى قال: «عليكم بصلاة الليل ولو ركعة»[(٢)] أي: ولو شيئاً قليلاً مع المواظبة.

واعلم أن وقت نصف الليل إلى أن يطلع الفجر وقت مبارك، تتنزل فيه الرحمات الإلٰهية، وتتفتح فيه الخزائن الإلٰهية.

يدل على ذلك ما جاء في الحديث[(٣)] عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فقال: «سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتن ـ أي: على أهل الفتن ـ وماذا فُتح من الخزائن» أي: كم من فتنة قد نزلت على أهلها، وفي رواية[(٤)]: «وماذا فتح الليلة من الخزائن».

---

(١) أورده البيهقي في الشعب (٣٢٥٨).

(٢) عزاه في مجمع الزوائد (٢/٢٥٢) إلى الطبراني.

(٣) الذي رواه البخاري في كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل (١١٥).

(٤) عند الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع، ما يكره للنساء لبسه (١٦٥٢)، والإمام أحمد في المسند (٦/٢٩٧).

ثم نبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى اغتنام ذلك، وأن يَستمطر المرء من خيرات تلك الخزائن الإلٓهية فقال: «أيقظوا صواحبات الحُجَر ـ أي: حتى ينالوا من تلك الخزائن الإلٓهية التي فتحت لقوام الليل ـ فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» والمراد: كم من نفس كاسية في الدنيا باللباس؛ لكن لا تقوى عندها فتأتي يوم القيامة عارية، لأن لباس الآخرة هو التقوى، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] وهذا يدل على أنه من أعظم التقوىٰ: قيام الليل.

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينادي مناد ـ أي: بأمر الله سبحانه ـ كل ليلة: هل من داع فيُسْتَجَابُ له، هل من سائل فيُعْطَىٰ، هل من مستغفر فيُغْفَر له، حتى ينفجر الفجر»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»(٢).

وفي رواية(٣) ثم يقول سبحانه: «من يُقْرِضُ غير عديم ولا ظلوم».

---

(١) الحديث في المسند (٤/٢٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٦٤ و٢٦٧)، والبخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر... (٧٥٨).

(٣) عند مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر... (٧٥٨).

ومعنى: «ينزل ربنا» أي: تتنزل أنواره ورحماته، وليس المراد نزول انتقال، لأن الله تعالى منزه عن المكان؛ إذ كان ولا مكان، ثم خلق الزمان والمكان، وهو غني عن المكان، ولا يحويه زمان جل وعلا، وإنما خلق الأشياء والأمكنة والسماوات والأرضين لتكون من مظاهر ملكه، ومن الدلائل على سلطان ربوبيته.

ولا تفهم أيها الإنسان من كل نزولٍ نزولَ انتقال وتحوُّلٍ، فأنت تقول نزلت الشمس في فناء داري، إذا أشرق نورها في الدار، وليس مُرادك عينُ الشمس انتقلت إلى دارك واستقرت فيها، فمعنى النزول هنا الظهور، فظهرت أنوار الشمس في الدار؛ لما ارتفعت الحجب من باب أو نافذة أو ستار.

ومن دون تشبيه فهناك لله تعالى أنوار تنزل إلى السماء في جوف الليل الآخر، لأنه سبحانه يرفع حُجباً حتى تظهر أنواره إلى السماء الدنيا.

ولذلك قال السلف: «ينزل ربنا» أي: تنزل أنواره ورحماته وألطافه سبحانه وتعالى.

فاحرص أيها المؤمن على قيام الليل، ولَبِّ دعوة الحق لك، وتَعرَّض لرحمات الله تعالى ومغفرته.

ولقد كان السلف رضي الله عنهم يُواظبون على قيام الليل، ومنهم من سأل الله تعالى أن يعطيه الصلاة لله تعالى بَعد مماتهم؛ وفي قبورهم؛ لِمَا رأوا من اللذة في صلاة الليل، ومن جملتهم ثابتٌ البنانيُّ تلميذُ أنس ابن مالك رضي الله عنه، وكان يأتي إلى أنس رضي الله عنه فيقول له: يا أنس مَسَسْتَ يَدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدك؟

قال: نعم. فيقول: أَرِنِيْ أُقَبِّلْهَا[1]. أي: لأنها مَست يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا شيبان بن جسر عن أبيه، قال: أنا ـ والله الذي لا إله إلَّا هو ـ أدخلت ثابتاً البناني لَحْدَهُ، ومعي حُمَيد الطويل، فلما سَوَّينا عليه اللبن سقطت لبنة؛ فإذا به يصلي في قبره، فقلت للذي معي: ألا ترى، قال: اسكت.

فلما سوينا عليه وفرغنا، أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت؟

فقالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها.

فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السَّحَر، قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها؛ فما كان الله ليرد ذلك الدعاء.

وقال سبحانه في فضل الليالي من ذي الحجة: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ المراد فجر يوم النحر، والليالي العشر من ذي الحجة، وفي هذا دليل فضلها وأَنّ لهذه الأيام والليالي فضلاً كبيراً، وأنها مواسم مَنحها الله تعالى للأمة المحمدية يضاعف فيها أجر العاملين:

كما ورد في الحديث[3]، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي

---

(١) كما في المسند للإمام أحمد (٣/١١١).

(٢) (٢/٣١٩).

(٣) الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٧٥ و١٣١).

صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد».

وفي رواية[1]: «فأكثروا فيهن من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير».

وفي رواية[2]: «فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير، فإنها أيام التهليل والتكبير، وذكر الله، وإن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة، والعمل فيهن يضاعف سبعمائة ضعف».

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية»[3].

وقال أنس رضي الله عنه: كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف، ويوم عرفة عشرة آلاف يوم[4]. يعني في الفضل.

ومن المستحب في يوم عرفة: الإكثار من التهليل كما في الموطأ[5]، عن طلحة بن عبيد الله بن كُريز، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له».

---

(١) عند الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٤/١٧).

(٢) عند البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام... (١١٦٢) عن سيدنا أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) ينظر في شعب الإيمان للبيهقي (٣٧٦٦).

(٥) في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء (٥٠٠).

وعند البيهقي[1] بزيادة: «له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير».

ولا تقل إن هذا ليس دعاء بل ثناء، فاعلم أن الكريم إذا أثنيت عليه أغدق عليك وأكرمك؛ وإن لم تذكر له حاجتك، وإنّ أفضل وقت في يوم عرفة هو بعد العصر إلى المغرب، فاحرص أيها المؤمن على ذلك الوقت، سواء كنت في عرفات أم في بلدك، لأن فضل الله يعم أهل عرفات وغيرهم من أهل الأرض.

* **ومن جملة ما ذكر سبحانه في الصفات الثابتة لأهل الجنة** قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[الأحقاف: ١٣-١٤]

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وفي هذه الآيات يبين سبحانه أن أهل الجنة هم على الاستقامة[2].

---

(١) في شعب الإيمان (٤٠٧٢).

(٢) انظر تفاصيل مقام الاستقامة ومراتبها، في البحث في منازل أهل المعاملات مع الله تعالى، في الجزء الرابع من كتاب (حول مواقفه ﷺ مع العالم) للشيخ الإمام رضي الله عنه.

معنى الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: لا ربّ لنا سواه ونحن عباده، لأنه لا بد للمربوب من ربّ، ولا بد للمخلوق من خالق، ولا بد للحادث من مُحدِث، ولا بد للموجودات من موجد. فهم نظروا في الكائنات وتَعَقَّلوا وتفكروا؛ فعرفوا أن هذه المصنوعات والموجودات التي تسير على نظام محكم دون خلل أو عبث، لا بد لها من خالق حكيم عليم، فأيقنوا بوجود الله وقدرته سبحانه فقالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: أن الله حقاً هو ربنا ونحن عبيده ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أي: على ما قالوا، وعلى مقتضى قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ والربّ يجب على العبد عبادته، فسلكوا طريق عبادته سبحانه، واستقاموا على شرعه الذي ارتضاه لهم.

فالاستقامة إقامة النفس على خط مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو صراط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أمر الله تعالى عباده أن يستقيموا عليه، وأن يدعوا به في قولهم: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وهم الذين ذكرهم سبحانه بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩]، وإمام النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[(١)].

فالصراط المستقيم هو صراط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال فيه سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/١٣٧)، والترمذي في أول كتاب المناقب (٣٦١٧)، وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣١٤).

عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ثم قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: قل لهم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي﴾ وهو صراط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالصراط الذي دعا الله عباده للسير عليه هو صراط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصراط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو صراط الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فالمستقيم هو الذي استقام على صراط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب والأحوال، كما شرع وَبيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد قال السلف الصالح رضي الله عنهم[1]: إن أشد آية نزلت على الصحابة قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو على الاستقامة الكاملة، وأنه هو الهادي إلى الصراط المستقيم.

وإن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ تنبيهاً للأمة إلى أن يستقيموا على صراط سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي عند هذه الآية الكريمة.

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أي: لا تتجاوزوا صراط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا إفراطاً ولا تفريطاً، وإنما كونوا على المنهج الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: على الشريعة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] أي: لنالوا خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: استقاموا على التوحيد والإيمان والشريعة؛ التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن للاستقامة أنواعاً ومراتب، ولا بد للمؤمن أن يبذل جهده في تحصيلها: فهناك استقامة الأقوال، واستقامة الأعمال، ولا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان، كما ورد في الحديث[1]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وإن أحداً لا يستطيع أن يحصي مراتب الاستقامة وأنواعها مهما بلغ في درجات الاستقامة، لأنّه وإن تحقق بمرتبة من الاستقامة، فإنّ للاستقامة مراتب أعلى تطالبه بالتحقق بها، ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن»[2].

---

(١) الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٣/١٩٨).

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ (٦٥)، والإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٧).

والمعنى: «استقيموا ولن تحصوا» أنواع الاستقامة، ومهما بلغتم في الاستقامة فلن تحصوا ثناء على الله وحمداً له، وعبادة له سبحانه، كما ورد في دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في السجود: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[1] أي: أنت يا ربّ كما أثنينا وفوق ما أثنينا، كما مدحنا وحمدنا وفوق ذلك، ولا يُحْصَىٰ ثناءٌ عليك.

ثم أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى استقامة الأعمال، وأهم الأعمال هي الصلاة فقال: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة» أي: فاستقيموا فيها، ولتكن صلاتكم مستقيمة قويمة قَيِّمَة، لأن الله تعالى أثنى على مقيمي الصلاة، وهم الذين استقاموا في صلاتهم وحافظوا على سننها وآدابها وخشوعها وحضورها.

«ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» أي: كامل الإيمان.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك ـ وفي حديث أبي أسامة: غيرك ـ.

قال: «قل آمنتُ بالله فاستقم»[2] لأن اللسان قد يكون سبب هلاك

---

(١) طرفٌ من حديث رواه الإمام مالك في الموطأ، باب ما جاء في الدعاء (٤٩٩)، والإمام أحمد في المسند (١١٨/١) عن سيدنا علي رضي الله عنه و(٢٠١/٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤١٣/٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٣٨).

الإنسان، أي استقم على قولك: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، وراقب ذلك في جميع حركاتك وسكناتك، وخلواتك وجلواتك، وفي الجامع وفي الشارع على حدّ سواء.

ولقد خاف الصحابة رضي الله عنهم من النفاق وعدم الاستقامة؛ بسبب تغير الحال معهم عندما يفارقون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله نكون عندك على الحال، فإذا فارقناك كنا على غيرها، فنخاف أن يكون نفاقاً ـ أي: أنهم لا يجدون ذلك الصفاء والارتقاء والمشاهدات التي يجدونها في مجلس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: «كيف أنتم وربكم»؟ أي: هل أنتم على مراقبة لله دائماً.

قالوا: الله ربنا في السرّ والعلانية. أي: نحن على مراقبة لله دائماً في خلواتنا وجلواتنا.

قال: «كيف أنتم ونبيكم»؟

قالوا: أنت نبينا في السرّ والعلانية.

قال: «ليس ذلكم النفاق»[١].

وكان الحسن البصري رضي الله عنه إذا تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة[٢].

---

(١) ينظر في شعب الإيمان للبيهقي (١٠٦٠)، والحلية لأبي نعيم (٢/٣٣٢)، ومجمع الزوائد (١/٣٤).

(٢) كذا في الزهد والرقائق لابن المبارك، الجزء الحادي عشر، رقم (١٤٤٦).

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: في كل عالم من العوالم، ولكل تَنَزُّلٍ نوع:

ففي عالم الدنيا: تتنزل الملائكة على أهل الاستقامة بالبشائر القلبية، أي: لا تخافوا ولا تحزنوا، **وكذلك تتنزل عليهم الملائكة حين ينتقلون إلى البرزخ**، فتحف بهم الملائكة بالبشائر والمؤانسة واللطائف، وتقول لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ مما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما تركتموه من الدنيا من مال وولد، وإن كنتم تحزنون على فراق ولد فنحن الملائكة نخلفكم فيهم.

ثم إذا صاروا في الحشر، وعمّ أهلَ المحشر الكرب والشدائد فتأتي الملائكة إلى أهل الاستقامة وتنشر عليهم الأمان وتقول لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وهذا الأخير تقوله الملائكة حين الموت وفي برازخ الآخرة ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: نحن الملائكة أحبابكم وأنصاركم، لأن الولاء هو المحبة والنصرة.

فالملائكة تقول لأهل الاستقامة: نحن أحبابكم وأنصاركم فلا نترككم، لأنه بيننا وبينكم محبة ومناصرة.

أما ولاء الملائكة مع المؤمنين في الدنيا: فهو حبهم للمؤمنين وغيرتهم عليهم، ومن ذلك أن يدفعوا عنهم الوساوس الشيطانية ويلهموهم الخير: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للشيطان لَمّة ـ أي: إلماماً وتحريضاً ـ بابن آدم، وللملك لمَّة. فأما لمة الشيطان: فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق،

وأما لمّة الملك: فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾[1] الآية [البقرة: ٢٦٨].

وفي هذه الآية: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تنبيه للمؤمن أن يحرص على هذه الخواطر الملكية، والتي فيها محض الخيرات والبشائر من ربّ العالمين، وأن يفتح قلبه لها ولا يتعامى عنها.

ومن جملة ولائهم للمؤمنين في الدنيا: حضورهم معهم مجالس العبادة، فنحن أولياؤكم وكنا نحضر معكم وإن كنتم لا تروننا، **ومن ذلك صلاة الملائكة** مع المصلين، وحضورهم صلاة الجمعة، ومجالس ذكر الله وعبادته، حتى إذا كان يوم القيامة شهدوا لأهلها عند الله سبحانه، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] ومن جملة الأشهاد: الملائكة، إذ تقوم وتشهد للمؤمنين بالإيمان، وللمصلين بالصلاة، وللذاكرين الله بالذكر وهكذا.

وإليك تفصيل ذلك، وبيان ولاء الملائكة للمؤمنين:

جاء في الحديث[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا قال الإمام ـ أي: في الصلاة ـ ﴿غَيْرِ

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن (٢٩٩١)، وابن حبان في صحيحه (٩٩٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب جهر المأموم بالتأمين (٧٨٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين (٤١٠).

﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة: غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وهذا يدل على أنّ هناك ملائكة تصلي مع جماعة المصلين وتقول: آمين، وإن مَن وافق قوله قولَ الملائكة غَفر الله له، لأن معنى آمين: اللهم استجب، وإن دعاء الملائكة مجاب.

وفي رواية[1]: «إذا أمّن الإمام فأمنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه».

واعلم أنه لا بد لكل إمام ملائكة تقتدي به في الصلاة من ملائكة السماء والأرض، وذلك على حسب مقام ذلك الإمام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده؛ فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد؛ فإنه مَنْ وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

أما حضور الملائكة صلاة الجمعة:

فقد ورد في الصحاح والمسند بروايات متعددة[3]، عن أبي هريرة

---

(١) عند البخاري في كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين (٧٨٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين (٤١٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل «اللهم ربنا لك الحمد» (٧٩٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التسميع... (٤١٠).

(٣) المسند للإمام أحمد (٢/ ٤٦٠)، وصحيح البخاري في كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة (٨٨١)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب وجوب الغسل (٨٥٠)، وأبو داود (٣٥١)، والترمذي (٤٩٩)، والنسائي (٣/ ٩٧-٩٩)، وابن ماجه (١٠٩٢) وغيرهم.

رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ـ أي: غسلاً كاملاً لغسل الجنابة وهو سنة يوم الجمعة ـ ثم راح في الساعة الأولى ـ أي: إلى الصلاة ـ فكأنما قَرّب بدنة ـ أي: جملاً في سبيل الله ـ ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أي: يستمعون الخطبة، ويحضرون الصلاة مع الجماعة.

وفي هذا تنبيه للخطيب إلى أن ملائكة الله تسمع خطبته، فليعلم ماذا يقول، وأن يتقيد في خطبته بذكر الله تعالى من آية وحديث، وإلا أعرضت الملائكة عن خطبته.

وهؤلاء الملائكة مخصصون ليوم الجمعة، إذ ينزلون صباح الجمعة، ويقفون على أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول، كما حَدَّثَ أبو غالب، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تقعد الملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجد؛ معهم الصحف يكتبون الناس، فإذا خرج الإمام طُوِيَتِ الصحف».

قلتُ: يا أبا أمامة ليس لمن جاء بعد خروج الإمام جُمعة؟!!

قال: بلى، ولكن ليس ممن يكتب في الصحف[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٦٣)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٢/١٧٧).

عليه وآله وسلم: «أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهده الملائكة»[1] أي: تشهد الملائكة أعمال العباد من: طاعات وصلوات؛ شهوداً خاصاً.

ومن جملة ولاء الملائكة للمؤمنين حضورهم معهم مجالس ذكر الله تعالى:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نَفَّسَ عن مؤمن كُربة من كُرَبِ الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم: إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذهب واحد.

قال فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأما أحدهما

---

(١) رواه ابن ماجه في آخر كتاب الجنائز (١٦٣٧).

(٢) الحديث في المسند (٢/٢٥٢) وعند مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم (٢٦٩٩).

فرأى فُرْجَةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ـ وكان منافقاً ـ.

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ـ أي: عن منزلة هؤلاء الثلاثة عند الله سبحانه ـ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ـ وهو الذي أوى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستمع إلى حديثه صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأما الآخر فاستحيا ـ أي: من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاستحيا الله منه ـ أي: حياء كَرَم فلا يُعذبه سبحانه وتعالى ـ وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ـ أي: بنوع من أنواع الذكر ـ فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تَنَادَوْا هَلمُّوا إلى حاجتكم».

قال: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا» قال: «فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك».

قال: «فيقول: هل رأوني»؟

قال: «فيقولون: لا والله ما رأوك» أي: ما رأوك بالعين ولكن

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس (٦٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة (٢١٧٦).

شاهدوك بالقلب، لأنه لا يلزم من الإيمان بالشيء رؤية الشيء؛ وإنما آياته سبحانه ظاهرة وآثار أسمائه ظاهرة؛ ودالة على وجوده ووحدته وقدرته، كما أنك تؤمن بوجود عقلك ولم تره، وتؤمن بوجود روحك ولم ترها، ولو أنكرت وجود الروح فما الفرق بينك وبين الميت؟؟!!.

قال: «فيقول: وكيف لو رأوني»؟

قال: «يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيداً وتحميداً، وأكثر لك تسبيحاً».

قال: «يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنَّة».

قال: «يقول: وهل رأوها»؟

قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها».

قال: «يقول: فكيف لو أنهم رأوها»؟

قال: «يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة».

قال: «فممَّ يتعوذون»؟

قال: «يقولون: من النار».

قال: «يقول: وهل رأوها»؟

قال: «يقولون: لا والله يا ربّ ما رأوها».

قال: «يقول: فكيف لو رأوها»؟

قال: «يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة».

قال: «فيقول: فأشهدكم أني قد غفرتُ لهم».

قال: «يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وفي الحديث[2]، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر، فإذا حفّوا عليهم، وأتوا بهم، ثم بَعَثُوا رائدهم إلى السماء؛ إلى ربّ العزَّة تبارك وتعالى فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يُعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم.

فيقول تبارك وتعالى: غَشُّوهُمْ رحمتي.

فيقولون: يا ربّ إنّ فيهم فلاناً الخطاء؛ إنما اعتنقهم اعتناقاً.

فيقول تبارك وتعالى: غَشُّوهُمْ رحمتي، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ بلغتني صلاته، وصليت عليه، وكتبت له سوى ذلك عشر حسنات»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند(٢/٢٥١)، والبخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ (٦٤٠٨).

(٢) عزاه في مجمع الزوائد (١٠/٧٧) إلى مسند البزار، وينظر المسند للإمام أحمد (٢/٣٥٨).

(٣) عزاه في مجمع الزوائد (١٠/١٦٢) للطبراني في الأوسط عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

ومن جملة أوصاف أهل الجنَّة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] نسأل الله أن يلحقنا بهم ويجعلنا منهم.

ففي هذه الآيات يُبين سبحانه صفات أهل الإيمان الكامل، وأنّ مِنْ علامات كمال إيمانهم: أنهم إذا ذُكر الله بأسمائه وعظمته وكبريائه، وبأحكامه وشريعته، وإذا ذكر سبحانه بالرجاء والرحمة، وإذا ذكر بالتخويف والخشية؛ فإن موقف المؤمنين الكُمَّل أن توجل قلوبهم أي: تخاف وترهب.

وإنّ للوجل معنى خاصاً فوق الخوف، فهو يتضمن الخوف وزيادة.

وتعريف الوجل: تأثير القلب وانفعاله بسبب تذكر سلطان ربّ العالمين.

وإذا وَجِل القلب وتأثر تحرك صاحبه للعمل، ولإصلاح ما بينه وما بين ربّ العالمين؛ وهذا شأن المؤمن الوجل من الله سبحانه.

وأما مَنِ ادعى الخوف والوجل من الله سبحانه، ولم يَسْعَ في إصلاح نفسه؛ ولم يتحرك للعمل والطاعة فهو ليس صادقاً فيما ادعاه.

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ خاف أدلج،

ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنَّة»[1].

والمعنى أنّ من سافر في الصحراء؛ وأمسى عليه المساء؛ وخاف أن يبيت في الصحراء؛ فإنه يسرع في السير حتى يصل إلى مأمنه، لأنّ خوفه منعه من النوم، وحمله على السرعة والنشاط حتى يصل إلى مأمنه، فمن خاف عقاب الله وعذابه وعتابه وحجابه: تحرك لإصلاح العمل مع الله سبحانه، ونهض بهمته للتقرب إلى الله سبحانه.

«ومن أدلج بلغ المنزل» أي: بلغ مأمنه، ثم لَفت صلى الله عليه وآله وسلم النظر إلى مأمن المؤمن ومأواه فقال: «ألا إن سِلْعَة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنَّة» أي: أن مأمن المؤمن الحقيقي هو جنة الله تعالى، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: إذا تليت تلاوةً، سواء كانت ترتيلاً، أو حدراً، أو تدويراً، أو بأيّ نوع من أنواع التلاوة ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: فوق إيمانهم، وسبب ذلك أنّ القرآن بآياته له رُوح تسري في القلوب فتحييها، وتزيد القلب الحي بالإيمان حياة فوق حياته، وقوّة فوق قوته، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (١٩) حديث رقم (٢٤٥٢)، والحاكم في المستدرك (٣٠٨/٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

ولهذا أيضاً كان من مواقفه عليه الصلاة والسلام أن يتلو القرآن على الناس، وأمره تعالى أن يجعل دعوته إلى الإسلام عن طريق تلاوة القرآن الكريم، كما في الآية: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢] وذلك لأن الإنسان حين يسمع القرآن فإنّ الروح القرآني تصل إلى الروح الإنساني وذلك عن طريق القلب، لأن القلب هو باب الروح الإنسانية، وإذا سرى الروح القرآني في القلوب فإنّ القلوب الحيّة المؤمنة تزداد إيماناً، وأما القلوب الميتة الخالية من الإيمان فإنها إذا كانت مستعدة للحياة وعَرّضها صاحبها لذلك فإنها تحيا بروح القرآن وتؤمن، أما إذا أعرض صاحبها وتغافل وجحد فإنه يبقى على ما هو عليه.

وقد بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أنّ القلوب الحيّة المؤمنة تحيا بروح القرآن، وتزداد حياة وإيماناً وقوَّة؛ كما تحيا الأرض بماء السماء، ويظهر لك خاصة في الربيع، فترىٰ الأرض قد أعشبت وأزهرت وأينعت.

وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم: «أسألك بكل اسم هو لك: سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك؛ أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي»[١] أي: أن يحيا القلب بالقرآن كما أحيا الله الأرض بماء السماء، وإن هذا القرآن يزيد المؤمن إيماناً إذا سمعه، وذلك لأن فيه تجليات ربّ العالمين.

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٣٩١/١) وعزاه في مجمع الزوائد (١٣٦/١٠ و١٨٦) لأبي يعلىٰ والبزار عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: (والله لقد تجلى الله تعالى في كلامه ولكن لا يشعرون)[1].

فلاحظ أيها المؤمن أنّ هذا القرآن هو حديث الله إليك، فخذ وتفهم عن الله حديثه.

وقد وبخ سبحانه أُناساً لا يفقهون الحديث عن ربّ العالمين فقال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] أي: عن الله سبحانه.

فهذا القرآن هو حديث الله وكلامه، يتجلى عليهم به، ويكلمهم ويحدثهم به، فَلِمَ لا يفقهون عن الله عزَّ وجلَّ؟!

كما أن هذا القرآن يزيد المؤمن إيماناً؛ لأن فيه استعراض آيات الله الكونية، ولفت العقل والفكر إليها، ولذا قال سبحانه وجَلَّتْ قدرته: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: أن الله هو الحق واجب الوجود.

كذلك فإن هذا القرآن يزيد المؤمن إيماناً؛ لأن له الهيمنة والسلطنة على القلوب، ولا يسع القلب الواعي الحاضر إذا سمع القرآن؛ لا يسعه إلا الخشوع والانكسار لله سبحانه، ولهذا قال جل وعلا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ثم وصفهم سبحانه وتعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: أنهم يتوكلون على الله في جميع أمورهم الدنيوية والأخروية، فهم يتعاطون الأسباب؛ على أنها أسباب والمؤثر فيها هو الله سبحانه.

---

(١) انظر تفسير البحر المديد لابن عجيبة عند تفسيره لأول سورة البقرة.

روى الإمام أحمد وغيره[1]، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصاً وتروح بطاناً» فالطير متوكلة على الله حق التوكل، ومع ذلك خرجت مِنْ أوكارها في الصباح وهي جائعة، إلا أنها لا تقصد حبة معينة في مكان معين، وإنما خرجت متوكلة على الله تعالى، فساق إليها سبحانه رزقها، وهداها إليه، حتى رجعت إلى أوكارها مساء وهي ممتلئة.

فإياك أيها الإنسان أن تعتمد على السبب، وإنما اعمل به وتوكل على المسبِّبِ سبحانه، لأنه هو المؤثر والفعال فيها، والأسباب حجاب ـ أي: خدمة ـ بين يدي ربّ الأرباب، فهو الفعال المتصرف بالأسباب، وكذلك قد يُعمِل لك السبب، وقد يُعَطِّل لك السبب، جلَّ وعلا، سبحانه وتعالى.

ولذلك فإن من صفات أهل الجنة أنهم على ربهم يتوكلون في جميع الأمور الجزئية والكلية.

وروى الترمذي والبيهقي[2]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء رجل على ناقة له فقال: يا رسول الله، أدعها وأتوكل؟

---

(١) المسند (٥٢/١)، والترمذي في كتاب الزهد، باب (٣٣) رقم (٢٣٤٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٤١٦٤)، والحاكم في المستدرك (٣١٨/٤).

(٢) الترمذي في آخر كتاب صفة القيامة (٢٥١٩)، والبيهقي في الشعب (١٢١٢).

فقال: «اعقلها وتوكَّل» أي: لا تعتمد على عقالك لها، فقد تعقلها وينقطع عقالها وتضل، وإنما خذ بالسبب وتوكل على الله تعالى.

ثم وصفهم سبحانه بإقامة الصلاة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: في أوقاتها وآدابها وخشوعها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهذا يشمل الزكاة المفروضة، والصدقات النافلة بأنواعها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وهذا لأنّ الإيمان هو حقائق عملية واعتقادية، فلا بد لكامل الإيمان من حقيقة يتحقق بها وينتهي إليها حتى يصح له كمال إيمانه.

روى الطبراني، عن الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، أنَّه مرَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة»؟

قال: أصبحت مؤمناً حقاً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «انظر ما تقول؟ فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك»؟

وفي رواية[1]: «فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة ذلك».

فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنَّة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النَّار يتضاغَوْنَ فيها.

---

(١) عند البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٩١)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/١٢٩).

فقال: «يا حارثة عرفت ـ أي: الحق ـ فالزم» ثلاثاً[1].

وفي رواية[2] فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مؤمن نوَّر الله قلبه».

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أن المؤمنين ليسوا على مرتبة واحدة عند الله تعالى، كما في الآية: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وإن ما بين الدرجة والدرجة ما بيَّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إن أهل الدرجات العلى ـ وهم المقربون ـ ليراهم مَنْ تحتهم ـ من أهل الجنَّة ـ كما ترون النجم الطالع في الأفق من آفاق السماء، وأبو بكر وعمر منهم وأنعما»[3].

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: مغفرة عامة لجميع ما فرط منهم من تقصيرات وهفوات. وهذه المغفرة تشمل الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا سِتْرُ الله الدائم عليهم، وفي الآخرة أيضاً بأن يعفو الله عنهم.

قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في النجوى؟

قال سمعته يقول: «يدنى المؤمن ـ أي: كامل الإيمان ـ يوم القيامة

---

(١) عزاه في مجمع الزوائد (١/٥٧) للطبراني في الكبير.

(٢) عند عبد الرزاق في المصنف (١١/١٢٩)، والبزار كما في مجمع الزوائد (١/٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٢٧ و٧٢ و٩٣)، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٣٦٦١)، وابن ماجه في المقدمة (٩٦).

من ربه عز وجل ـ وهذا القرب قُرب إظلال وعناية ـ حتى يضع عليه كنفه ـ أي: ستره ـ فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ ـ أي: ذنب كذا وكذا وهي من الصغائر ـ فيقول: أي ربِّ أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا؛ وإني أغفرها لك اليوم؛ فيعطى صحيفة حسناته»[1].

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: متنوع، يشمل الرزق الجسماني من أطعمة وأشربة، والرزق القلبي بالمعارف الإلٰهية، والرزق العقلي بالعلوم، والرزق الروحي بالمشاهدات والانكشافات، ولكل نوع من الرزق لون من النعيم واللذة. ونسأل الله ذلك من فضله.

ونسأل الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله ربِّ العالمين

* * * * * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٧٤)، والبخاري في أول كتاب المظالم (٢٤٤١)، ومسلم في كتاب التوبة (٢٧٦٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

* المحاضرة الثامنة:

حول صفات أهل الجنة وما أعد الله تعالى لهم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة: فأفضلها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

وإن هذه الشعب الإيمانية: منها اعتقادية، ومنها عملية، ومنها

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٤١٤)، والبخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب عدد بيان شعب الإيمان (٣٥) واللفظ له.

قولية، ومنها خُلُقية أدبية، ومَنِ استوفاها وجمعها كلها فقد كمل إيمانه، فيقال: إنه من الأبرار، وصار أهلاً أن يرتقي إلى مقامات المقربين، وقد بَيَّنَ سبحانه أنَّ الإيمان الكامل هو البِرّ، وأن البَرَّ هو الذي تحقق بشعب الإيمان كلها، قال جل وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ[1] ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ[2] وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟[3] وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ[4] وَٱلضَّرَّآءِ[5] وَحِينَ ٱلْبَأْسِ[6] أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

[البقرة: ١٧٧]

فهذه صفات الأبرار، ومن جمع شعب الإيمان كلها فقد جمع صفات البر، وهي صفات الإيمان وشعبه لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية.

وقد بين سبحانه أصناف المسلمين فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو الذي ترك فرضاً

---

(١) أي: أنفق من مالٍ محبوبٍ عنده.

(٢) أي: أنفق في فك الرقاب.

(٣) وهذا يشمل على العهود بين العبد وبين خلق الله. أي: عمل بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

(٤) البأساء: الشدة والفقر.

(٥) الأمراض والمصائب.

(٦) حين البأس أي: حين الحرب.

وارتكب منهياً عنه من الكبائر ولم يتب ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهم الأبرار وأصحاب اليمين الذين حققوا شعب الإيمان، ولهم قليل من النوافل ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] وهم المقربون الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

واعلم أن القرآن إذا أطلق الأبرار فيراد منهم أصحاب اليمين؛ ويشمل المقربين أيضاً.

ومن هذا لما قابل الأبرار بالمقربين ليُبيِّنَ الفرق بينهما في الرتبة قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨-٢١] وهذا يدل على أن المقربين أعلى مقاماً من الأبرار.

ولما ذكر الأبرار دون مقابلتهم مع المقربين فقد شمل المقربين أيضاً، لأنّ المقربين جمعوا وتحققوا بصفات الأبرار؛ وزادوا عليهم مقامات في القرب الخاص، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

فالمراد من الأبرار هنا أصحاب اليمين والمقربين لأنَّهم يقولون: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي نادى في العالم ودعاهم إلى الإيمان ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: لأنكم لا غنى لكم عن ربكم، ولا يسعكم أن تُنكروا وجوده، ولا بد للعقل أن يُثبت أنّ الرب حق؛ وأنتم عبيده، وما لكم ربٌّ غيره فآمنوا بربكم ﴿فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: وهي الكبائر

﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ أي: وهي الصغائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ويشمل أصحاب اليمين والمقربين.

واعلم أن البِرّ من جملة أسماء الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾.

وإنما سمي الإيمان براً لأن الإيمان كله خير، ولهذا يقال عن الإيمان إنه خير، كما في حديث[1] الشفاعة: «ثم يقول الله تعالى: أخرجوا ـ أي: من النار ـ مَنْ كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير» أي: من إيمان.

وهذا لأن الإيمان هو الخير كل الخير، وليس فيه شر أبداً، وإنما الشَرُّ كله في الكفر والفسوق وما يجر إليهما.

وقال تعالى في بيان الفرق بين نعيم الأبرار والمقربين: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ وهم المقتصدون وأصحاب اليمين، الذين تحققوا بشعب الإيمان كلها ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: خمر الجنة ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: أن هذه الخمرة ممزوجة بشيء من الكافور، وشأن الكافور أن يُعطي الصحة والنشاط، فما بالك بكافور الجنة، وهذا يدل على أنّ خمرة الجنة تبعث على النشاط والحيوية، لأنها ممزوجة بالكافور الجناني، بخلاف خمرة الدنيا التي تذهب بالعقل والإحساس.

هذا الكافور ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: أن هذا

---

(١) طرف حديث رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان (٢٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الكافور هو عين خالصة يشرب بها المقربون، وفي هذا تضمين لمعنى الارتواء والامتلاء منها، أي: يشربون منها ويمتلئون بها؛ وتكون صرفاً غير ممزوجة لقوة استعدادهم، كما يُفجرونها تفجيراً حيث أرادوا في قصورهم أو منازلهم أو رياضهم، وقد وصفهم سبحانه بأنهم عباد الله لأنهم تحققوا بالعبودية الخالصة لله تعالى، ولم تسترقهم الأغيار والأهواء والشهوات والآراء، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وجاء في الحديث[١]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة».

وعبد الدينار هو: الذي استعبده الدينار حتى شغله عن ربه، وعبد الخميصة أي: اللباس بأن شغله التفاخر بالثياب والزينة عن ربه، وعبد المرأة هو الذي تغالى في حبها حتى شغلته عن عبادة الله، أو حملته على معصية الله.

وقد يكون الإنسان عبداً لآرائه وأهواء نفسه المخالفة؛ إذا ركن إليها وعمل بمقتضاها، ومن كان كذلك فقد اتخذ هذه الشهوات والأهواء آلهة له ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] فَمِن باب أولى أن لا تتخذوا أهواءكم وآراءكم آلهة وأنتم لها عبيد.

---

(١) الذي رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٧).

فالمقربون هم عباد الله الذين تحرروا من رِقِّ الأغيار، وتحققوا بالعبودية الخالصة لله تعالى وحده.

ثم ذكر سبحانه صفات هؤلاء المقربين فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ والنذر ما أوجبه الإنسان على نفسه، ولما وصفهم سبحانه بوفاء النذر فَهُمْ لحقوق الله أوفى، أي: أنهم يقومون بحقوق الله تعالى تماماً، وبحقوق خلقه كذلك، حتى أنهم يُوجبون على أنفسهم نذوراً ويوفون بها.

ومن الحماقة والجهل في الدين أن يوفِّي الإنسان لنذره وهو يأكل حق غيره.

وليس وفاء النذرِ مقدماً على وفاء حقوق الناس مِنْ دَيْنٍ ونحوه.

﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ وهو يوم القيامة، وقد وصفه سبحانه بأنه يوم مستطير الشر، أي: منتشر حتى يَعم أهل المحشر كلهم؛ إلا من اتقى الله فوقاه سبحانه شرّ ذلك اليوم.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ أي: سيكون، وذكره الله تعالى بصيغة الماضي ليدل على أنه كالكائن في تحققه كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] أي: الساعة؛ ولم تحصل بَعْدُ وهذا باعتبار التحقق، وأنها لا محالة واقعة، وَمِنْ تحققه كأنه وقع واستمر وهكذا.

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: يطعمون الطعام المحبوب عندهم والمرغوب لديهم، ويدخل في هذا المال واللباس وغير ذلك. ويجب على المؤمن أن لا يتعمد أو يتقصد الإنفاق من سيِّئِ ماله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ أي: والحال ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن

﴿تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] يعني أن هذا المال الفاسد الذي تنفقونه على الفقراء لو عُرض عليكم لما أخذتموه إلا عن إغماض وخجل وحياء، فكيف ترضون من أنفسكم أن تقدموه قربة إلى الله تعالى؟!!

كما أن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ يعني: على حب الله تعالى، لا طلباً لثناء الناس ومدحهم، إنما يطعمون الطعام على حبهم لله وبالله.

﴿مِسۡكِينٗا﴾ وهو الفقير ﴿وَيَتِيمٗا﴾ لا أب ولا كسب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يشمل أسير الحرب إذا صار في يد المسلمين.

وقد أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإحسان إلى الأسرى؛ ولو كانوا كفاراً، حتى راح الصحابة يؤثرونهم على أنفسهم بالطعام.

كما أنّ المعنى يشمل مَنْ كان أسيراً بنوع من الأسر، كالمملوك أو الخادم الذي أَسَرَ وقته لخدمة غيره، والسجين وغيره.

﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ أي: يقولون لهؤلاء: إنما نطعمكم لوجه الله، أي: ابتغاء وجه الله، وهو مقتضى مقام أهل الإحسان؛ وهم الذين يعبدون الله كأنهم يرونه.

ولما كانت عباداتهم وطاعاتهم كلها ابتغاء وجه الله ـ أي: حتى ينالوا رؤية الله يوم القيامة ـ أثابهم الله على ذلك بالرؤية المستمرة، والمشاهدة الدائمة بكرة وعشياً.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: لا نطلب منكم مقابلة على ذلك، لا بعمل ولا بخدمة.

﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي: بالثناء والمدح لنا.

وقد أرسلت السيدة عائشة رضي الله عنها يوماً إلى بعض الفقراء طعاماً طيباً، ثم عاد الذي بعثته وسألته ماذا قال؟ قال: دعا لك كثيراً، فجعلت عائشة رضي الله عنها تدعو له حتى لا يكون جزاؤها دعاءه فقط، بل إن دعاءه مقابل بدعائها، وتكون صدقتها لوجه الله خالصة.

وهذه من المعاملات الخاصة بين أهل القلوب وبين علام الغيوب.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وقد وصف هذا اليوم بأنه عبوس لأن أهله كلهم عابسون لهول ذلك اليوم.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديداً مديداً طويلاً؛ إلَّا على من اتقى الله وكان من المقربين؛ فيكون عليهم قصيراً كوقت صلاة الفجر، وقد خافوا من ذلك اليوم لأنّه يوم الحساب، فخافوا أن تكون نتيجة الحساب عتاباً أو عذاباً أو حجاباً، لأن عتاب المحبوب شاق على النفس ومؤلم لها؛ فكيف بعتاب أعظم محبوب كما في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] أو يخافون من الحجاب، لأنهم يطلبون المشاهدة في جميع العوالم؛ فيخافون أن يحتجب عنهم ربهم ولو في أهوال الآخرة.

ثم بَيَّن سبحانه عاقبة أعمالهم وخوفهم فقال: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ فَمن خاف العذاب وقاه الله منه، ومن خاف العتاب وقاه الله من العتاب، ومن خاف الحجاب وقاه الله من الحجاب وجعله في الشهود الدائم.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أي: جعل في وجوههم النضار والبهجة، بينما وجوه أهل الموقف عابسة كئيبة.

﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ **على حكم الله التشريعي** من: أداء أوامر واجتناب مَنَاهٍ، **كما صبروا على حكمه القضائي القدري** بالصبر على ما أصابهم من شدائد ومصائب وهموم.

ومَنْ عَزم نفسه على الصبر أعانه الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ جنة أي: حدائق وبساتين، وحريراً يلبسونه، وأثاثاً لبيوتهم وقصورهم.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي الأَسِرَّة العالية.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: شمساً مشمسة ذات حرّ ووهج، ولا زمهريراً أي: برداً، وإنما هم في نشأة جنانية.

وقال بعضهم: لا يرون فيها شمساً أي: نهاراً كنهار الدنيا الضح، ولا زمهريراً أي: قمراً في الليل، لأنه لَيْس هناك ليل مظلم كليل الدنيا، ولا نهار كنهار الدنيا، بل هم دوماً في أنوار وأضواء قوية وأقوىٰ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن ربكم تعالى ليس عنده ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السماوات والأرضِ من نور وجهه)[1].

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية (٩٠) من سورة المؤمنين، وعزاه في الدر المنثور إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ =

أما معنى: ﴿بُكۡرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: ألوان من الأنوار تسدل من العرش فتكون بكرة وعشياً، فالأنوار تختلف بنسبتها حسب الأوقات.

وبيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أن حرّ الدنيا وقرَّها ـ أي: بردها ـ إنما هو أنفاس خفيفة من أنفاس جهنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضاً؛ فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف. فأشد ما تجدون من الحر؛ وأشد ما تجدون من الزمهرير»[1].

وهذا دليل على أن نار جهنم مخلوقة وموجودة الآن في عالم آخر.

وهذا الحديث لا ينافي الأسباب الظاهرة التي تنشأ عنها الحرارة والبرودة؛ كتجمّد القطبين، ونسبة بعد الأرض عن الشمس، فاعلم أنّ الأمر لما يتنزل من عالم إلى عالم يأخذ حكم العالم النازل إليه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر: ٢١].

كما أن العوالم كلها متسلسلة ومتصل بعضها ببعض؛ إما اتصالاً

= وغيرهم عند تفسيره للآية (١٢) من سورة الشورى، وعزاه في مجمع الزوائد (٨٥/١) للطبراني في معجمه الكبير، والأسماء والصفات للبيهقي والحلية لأبي نعيم (١٢٧/١).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣٨/٢)، والبخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٥٣٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر (٦١٣).

حسياً أو اتصالاً معنوياً تأثيرياً، كما هو شأن الإنسان الذي انطوت فيه الأكوان، فترى أن الرِجْلين متَّصلتان بالرأس اتصالا حسياً مشهوداً، وهناك اتصال معنوي باطني غيبي، فإذا صدر الأمر من الدماغ إلى الرجلين بالحركة تتحرك، وهذا يوضح لك اتصال العالم السماوي مع العالم الأرضي اتصالاً ظاهراً في الظاهرات، واتصالاً تأثيرياً في الباطنات.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي: أن ظلال أشجار الجنة ورياحينها ونسيمها لا يفارقهم.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: أن ثمارها مُذللة لهم حيث أرادوا، فإن أرادوا أن يتناولوها وهم قائمون مالت إليهم وقطعوها، وإن أرادوا قطعها وهم متكئون مالت إليهم وهكذا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الآنية للطعام، والأكواب للشراب ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ أي: الأكواب ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي: زجاجاً شفافاً، لكنه من فضة وليس كزجاج الدنيا الذي إذا طلي بالفضة زالت شفافيته.

فهذه الآنية والأكواب هي في شفافيتها كالزجاج الصافي، وفي لمعانها كالفضة البراقة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: قَدرها المؤمن في الجنة، أَيْ: قَدّر أن يؤتى بكوب مملوء من نوع كذا من الشراب؛ فجاء كما أراد وقدر له، كذلك أيضاً فإن الذين جاؤوا بها قدروها لهم بمقادير على مقتضى التنعم والارتواء بها، فلا زيادة فيها ولا نقص.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ أي: أن

زنجبيل الجنة لا يُشبه زنجبيل الدنيا، فهو في الجنة عين تجري وتتسلسل من العلو حتى تنزل على أهل الجنة، ويكون منبعها من بطون العرش، فإما أن الزنجبيل عين ينبع فيها الشراب، أو يشربون من عين فيها تسمى سلسبيلاً.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: يطوف عليهم بالضيافة والخدمة ولدان مخلدون أي: في سن صغير دائماً، وهؤلاء الولدان مِن خلق الجنة كالحور العين، ومهمة الولدان الضيافة والخدمة.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ فهم: يصطفُّون حول المؤمن كاللؤلؤ المنثور حوله مستعدين لخدمته.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أيها الرائي ﴿ثَمَّ﴾ أي: ذاك العالم ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: رأيت نعيماً كبيراً لا يشبه شيئاً من نعيم الدنيا، وملكاً كبيراً في سعته.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أدنى أهل الجنَّة منزلة لمن ينظر إلى جنانه، وأزواجه، ونعيمه، وخدمه، وسُرُرِهِ؛ مسيرة ألف سنة»[(١)].

وفي مسند الإمام أحمد[(٢)]: «إن أدنى أهل الجنة منزلة: لينظر في مُلكِ ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه».

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٦٤)، والترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الربّ تبارك وتعالى (٢٥٥٦).

(٢) (٢/١٣).

ومن زعم أن بصره يتناهى دون ذلك بكثير فيقال له: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

واعلم أنّ العوالم آخذة في الاتساع، وإنّ نسبة عالم الدنيا إلى عالم البرزخ كنسبة عالم الجنين إلى عالم الدنيا، ونسبة عالم البرزخ بالنسبة لعالم الحشر كنسبة عالم الجنين لعالم الدنيا، وهكذا إلى عالم الجنة.

وأما أكرمهم على الله تعالى فهو ينظر إلى وجه ربه كل يوم بكرة وعشياً، وهناك مقام الشهود الدائم للنبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

كما أن لأهل الجنة مُلكاً أيْ: عزاً حقيقياً، والملائكة يَدخلون عليهم من كل باب، ويقولون لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٤] بالتحية والتكريم.

ومن جملة المُلك الكبير[1] أنّ المؤمن إذا أراد شيئاً قال له: كن بإذن الله فيكون.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ أي: يعلوهم ثياب من حرير ناعم أخضر ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ وهو الحرير الخشن بمثابة الظِّهارة، والسندس بمثابة البطانة.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: حلاهم الله، وقد جاء في آية أخرى ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١].

فاعلم أن كل حلية مقابلة بعمل، كما ورد في الحديث[2]، عن أبي

---

(١) ينظر تفسير النيسابوري، والنكت والعيون للماوردي، والبحر المديد لابن عجيبة وهذا كله في إطار قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

(٢) رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب (١٨) رقم (٢٩١٦)، وينظر المستدرك (٥٥٢/١).

هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا ربِّ حَلِّه؛ فَيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا ربّ زده؛ فَيُلْبَس حلة الكرامة، ثم يقول: يا ربّ ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارْقَ وتزاد بكل آية حسنة».

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طَهَّر قلوبهم من كل حقد وغل، فهم على قلب رجل واحد كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وجاء في الحديث[1]: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً».

واعلم أنه لو لم يكن في الجنة سوى التحابب لكفى به نعيماً، ولو لم يكن في النار سوى العداوة والتباغض لكفى به عذاباً، كما أن هذا الشراب طَهّر قلوبهم عن محبة الأغيار، فعندهم المحبوب الذي أخذ جميع القلوب واستأثر بها لنفسه وهو الله تبارك وتعالى.

وقد سقى الله تعالى أولياءه من هذا الشراب وأخذ بقلوبهم عن أنفسهم، وطهر قلوبهم عن رؤية غيره، فلا يحبون ولا يشهدون غيره، كما قال بعض العارفين رضي الله عنهم في قوله جل وعلا: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١]: إن لله عباداً سقاهم ربهم شراباً طهوراً،

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٣١٦/٢) والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٥)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب صفات الجنة وأهلها (٢٨٣٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

فلما شربوه طاشوا، فلما طاشوا طاروا، فلما طاروا وصلوا، فلما وصلوا اتصلوا، فلما اتصلوا حلوا ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] أي: ثابت الملك، وصاروا ملوكاً بتمليك المليك جل وعلا.

ومن جملة الفوارق بين مقام المقربين ومقام الأبرار: ما ذكره الله تعالى في سورة المطففين، وقد ذكر أولاً طبقة الفجار بمن فيهم من الكفار وعصاة المؤمنين، ثم ذكر الأبرار وهم الذين تحققوا بشعب الإيمان كلها، ثم ذكر المقربين وهم الذين زادوا على الأبرار بالطاعات والقربات الخاصة، وقد ذكر ذلك سبحانه على وجه الترقي، فقال جل وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٧-٢٨].

﴿ٱلْفُجَّارِ﴾ جمع فاجر، وهو: المجاوز لحدود وشريعة الله ـ مادة الفجور تعني المجاوزة ومنه تفجر الماء إذا جاوز الينابيع ومشى ـ فالفاجر تجاوز أوامر الله بانتهاكها ولم يحققها، وجاوز ما حرم الله بأن اقتحمها وفعلها؛ وإن أول ما تشمل كلمة ﴿ٱلْفُجَّارِ﴾ الكفار؛ ثم عصاة المؤمنين الذين ماتوا ولم يتوبوا من إصرارهم.

﴿كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ أي: كتاب أعمالهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي: أن أمره عظيم. وسجين هو اسم لديوان الشر والفساد؛ سواء كانت في الأعمال أو الأقوال أو العقائد، وموضعه في أسفل السافلين، وليس هذا الكتاب تسطيراً إنما هو كتاب جامع لذوات الأعمال وحقائقها، وهي أعمال الشر والفساد التي تصدر عن فجار الإنس والجن.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: كتاب لا يُمحى منه شيء، بل هو جامع لكل ما صدر عنهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم يوم يقوم الناس لربّ العالمين؛ كما في أول السورة.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الذين كانوا يجحدون الآخرة والبعث والحساب. وسمي يوم الحساب بيوم الدين: لأن الدّين يطلق على الحساب والجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: هو المالك لهذا اليوم، والمَلِكُ فيه، فهو سبحانه الذي يُدين الناس ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، ولذلك فإنّ من أسمائه سبحانه الملك الديان، كما جاء في الحديث[(١)]: «البِرُّ[(٢)] لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يموت ـ أي: المجازي وهو الله سبحانه ـ فكن كما شئت: كما تدين تدان» أي: كما تُعامِل تعامَل، وكما تُحاسِب تحاسَب.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/١٧٩) رقم (٢٠٢٦٢) عن أبي قلابة مرسلاً، والديلمي في الفردوس (٢٢٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) البر هو الخير الجامع المتنوع، ومعنى: «البر لا يبلى» أي: يبقى أبداً، والبر هو ما صدر عن بَر أي: مؤمن.

وروى الإمام أحمد في مسنده[1]، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحشر الناس يوم القيامة ـ أو قال: «العباد» ـ عراة غرلاً بُهْماً».

قال: قلنا: وما بُهماً؟

قال: «ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قَرُب ـ وفي رواية[2]: «فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب» ـ أنا الملك، أنا الديان ـ أي: هو المالك للرقاب والذوات والمتصرف بها، وهو المجازي المحاسب ولهذا قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ ـ ولا ينبغي لأحد من أهل النَّار ـ ولو كان كافراً ـ أن يدخل النَّار وله عند أحد من أهل الجنَّة حقٌّ ـ أي: حق شرعي بمعاملة أو ذمة ـ حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النَّار عنده حقٌّ ـ أي: له عليه حق سواء كان حقاً مالياً، أو في عرضه كغيبة أو نميمة ـ حتى أقصه منه، حتى اللطمة».

قال: قلنا: كيف وإنا نأتي الله عزَّ وجلَّ عراة غرلاً بهماً؟

قال: «بالحسنات والسيئات».

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: معتد على غيره، أثيم في فجوره وشهواته.

---

(١) (٤٩٥/٣) عن سيدنا عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

(٢) عند البخاري في كتاب التوحيد، أول باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أساطير جمع أُسطورة وهي الخرافة والأكذوبة.

﴿كَلَّا﴾ أي: بل هي حقائق ثابتة ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: أن سبب جحودهم وإعراضهم وإنكارهم لهذه الحقائق القرآنية الثابتة: ما ران وخَيّم على قلوبهم من ظلمات المعاصي والفجور التي يكسبونها، فراحوا يُنكرون النور مع وجوده، كَمَنْ أنكر النور لفقدان بصره، فيقال: إن النور موجود، ولكنك لا تراه بسبب العمى، والكافر يجحد ذلك فعميت بصيرة قلبه بسبب ارتكابه للفسوق والمعاصي؛ ولم يَرَ نور الله في كلامه.

وفي هذا تنبيه للمؤمن أن لا يستمر في المعاصي والفسوق؛ لئلا يؤدي إلى عمى قلبه وانطماس بصيرته، لأن الذنوب لها رَيْنٌ يخيِّمُ على القلب بظلمة، فمن تاب إلى الله تعالى زالت تلك الظلمة عن قلبه، ومن أصر على ذنوبه أظلم قلبه، وعميت بصيرته ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ومثال هذا كمن وضع غباراً على عينيه حتى ضعف بصره، ثم وضع فوق الغبار غباراً آخر حتى أفسد عينيه، وزال بصره.

وكذلك بصيرة القلب إذا توالت وتراكمت عليها الذنوب فيعمى القلب، وتزول بصيرته، فلا يرى صاحبه نور الله، فإذا تُليت عليه آيات الله قال: أساطير الأولين، وإذا ذُكِّر ووعظ أعرض وتولى.

وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم معنى هذه الآية وأثر الذنوب

على القلوب بقوله: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه؛ وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[1].

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار»[2].

واعلم أن الإصرار على المعصية بريد الكفر، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل للمُصِرِّين»[3] لأن الإصرار يهوِّن المعصية، ومن هانت عليه المعصية تجرَّأ عليها، ومتى تجرأ عليها واستحكمت فيه فقد استخف بالله والعياذ بالله تعالى.

وقد وصف الله المؤمنين بعدم الإصرار على الذنوب والمبادرة إلى التوبة فقال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥].

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقد حجبوا عن رؤية الله في الآخرة؛ لأنهم حُجبت قلوبهم عنه في الدنيا بسبب فجورهم وكفرهم،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، ومن سورة المطففين (٣٣٣١)، وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٢٤٤)، وابن حبان (٩٢٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦٤٩)، والطبراني في الدعاء، وعزاه في مجمع الزوائد (٢٠٧/١٠) للطبراني في الصغير والأوسط.

(٣) طرف من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (١٦٥/٢ و٢١٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعزاه في مجمع الزوائد (١٠، ١٩١) للطبراني.

وما حجاب الإنسان إلَّا الإنسان، ومنه وفيه، ومن أراد كشف الحجاب في الآخرة ورؤية الله تعالى: فليكشف الحجاب عن قلبه في الدنيا بالتوبة إلى الله تعالى لأنها تصقل القلوب.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: بعدما يَصلون الجحيم يقال لهم: هذا ما كنتم تنكرونه في الدنيا.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ وهذا الكتاب جامع لحقيقة الأعمال وذواتها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] و﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ وعليون اسم للديوان الجامع لأعمال الخير والصلاح، وموضعه في عليين، وهذا يدل على أنّ مقامهم أيضاً في عليين.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: أن المقربين وهم الملائكة والكمّل من المؤمنين يشهدون كتاب أعمال الأبرار، وينظرون فيها، فيقرونها ويستحسنونها ويتباهون بها.

ومثال هذا كمن أجاد في الجواب؛ فتعرض أجوبته الجيدة على الهيئة العالية من المعلمين ليشهدوها ويتباهوا في هذا الجواب.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

قوله سبحانه: ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ يدل على أن النعيم محيط بهم من كل الجهات، كأنهم ظرف ومظروف ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ في كل العوالم

التي يتنقلون إليها: فهم في الدنيا في نعيم طاعة الله والتقرب إليه، وفي البرزخ هم في نعيم كما قال تعالى: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١] وهكذا في جميع العوالم.

كما أن الفجار هم في جحيم في جميع العوالمِ كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

فالكفار في الدنيا هم في جحيم، وسيصلون الجحيم الأكبر يوم الدين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] أي: في الدنيا. وعلى هذا فكل عالم فيه ألوان من النعيم وألوان من الجحيم، ونسأل الله العافية.

وورد في الحديث[١]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مررتم برياض الجنَّة فارتعوا».

قلت: يا رسول الله وما رياض الجنَّة؟

قال: «المساجد».

قلت: وما الرتع يا رسول الله؟

قال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر».

وفي رواية[٢]: قالوا وما رياض الجنَّة؟

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٠٤).

(٢) عند الإمام أحمد في المسند (٣/١٥٠)، والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٠٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

قال: «حِلق الذكر».

وفي رواية[1]: قالوا وما رياض الجنَّة؟

قال: «مجالس العلم».

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ وهذا في الجنَّة ينظرون إلى ما أعطاهم الله تعالى من قصور وأنهار، وينظرون إلى الملائكة عليهم السلام وهي تحييهم بالسلام، وينظرون إلى الله تعالى حين يتجلى عليهم بالرؤيا كما قال جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: أن كل من يرى وينظر وقتئذ يعرف، أو أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي: أنك يا رسول الله الآن تعرف في وجوههم نضرة النعيم، وترى ذلك بنور النبوة الخاص.

ويدخل في هذا كل وارث محمدي فيظهر له نور الطاعة وجمال التقوى.

﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ والنضار هو البهجة والجمال والضياء، فإن أهل الجنَّة يدخلون الجنة ووجوههم نضرة، ويزداد نضارهم وجمالهم وكمالهم حين يتجلى الله عليهم بالرؤية في عالم الكثيب، ولهذا قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وقد ورد أن أهل الجنة لما يتوجهون إلى رؤية الله تعالى يمرون

---

(١) عزاه في كنز العمال: للطبراني في الكبير عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

بأسواق في الجنة، وهذه الأسواق للتحلي بالجمال؛ لأن التجلي لا بد له من تحلي[1].

وهناك أسواق للنوال يمرون عليها عند رجوعهم من عالم الرؤيا:

روى الإمام مسلم في صحيحه[2]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في الجنَّة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم؛ فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً».

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في الجنَّة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة ـ أي: أحبها ـ دخل فيها»[3].

وكذلك المرأة إذا أحبت صورة دخلت فيها وصارت صورتها كتلك الصورة التي أحبتها، وليست هذه الصورة مرقمة على أوراق، وإنما صور من هياكل جميلة، ثم يتوجهون إلى عالم الكثيب، ويتجلى عليهم رب العزة بالرؤيا، ويحاضرهم محاضرة. أي: يكلمهم تكليماً، حتى إنه سبحانه يذكرهم بأمور في الدنيا مَرَّت عليهم، ثم يقول لهم

---

(١) ينظر الترغيب للحافظ المنذري، باب رؤية أهل الجنة ربهم جل وعلا.
(٢) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة (٢٨٣٣).
(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة (٢٥٥٣).

تبارك وتعالى: «قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة؛ فخذوا ما اشتهيتم، فيأتون سوقاً قد حَفَّت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لهم ما اشتهوا، ليس يباع فيها ولا يشرى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، ويعانق بعضهم بعضاً» ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه لما حدث بهذا الحديث؛ قال لسعيد بن المسيب: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة[1].

واعلم أن الله تعالى لما يتجلى على أهل الجنة بالرؤيا فإن كلاً منهم يرى على حسب إيمانه ومعرفته بربه سبحانه.

والتجلي يكون بالجمال والبهاء، ويسمى يوم الجمعة في الجنة بيوم المزيد، لأنه فيه زيادة فضل من الله على أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] أي: فوق ما أرادوا واشتهوا.

وروى الإمام مسلم في صحيحه[2]، عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنَّة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟

---

(١) ينظر سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنّة (٢٥٥٢)، وسنن ابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣٣٦).

(٢) في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٨١).

فيقولون: أَلَمْ تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ـ فلقد بَيّض الله وجوه أهل الإيمان وسود وجوه الكفار: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ولقد ستر الله تعالى سواد وجوه الكفار في الدنيا لعلهم يتوبون ويرجعون، ولما أصروا وماتوا على ذلك فضحهم وظهر سواد وجوههم ـ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجل».

وإن لحظة من الزمان ينكسر فيها قلب المؤمن لربه ويخشع له: يجد من اللذة والنعيم ما لا يجده في نعيم الدنيا كلها من مأكلها ومشربها، فكيف لو كشف عنه الحجاب الجسماني، وتجلى الله عليه بالجمال، ففي هذا من النعيم ما لا يقاس بمأكل الجنة ومشاربها وحورها وقصورها.

ولهذا بين سبحانه أن أعظم وأشد عذاب أهل جهنم حجابهم عن ربهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

ولو أنه جل وعلا تجلى عليهم بالرؤيا لسُلُّوا عن العذاب كله، ونسوا جهنم وحريقها.

وقد يُشكل على المرء أنه ما وجه العذاب بالحجاب، مع أن الكفار كانوا في الدنيا لا يحبون الله ولا يطيعونه؟!

فاعلم أن الله تعالى لما خلق بني آدم وأبرزهم في عالم الذر، وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧١] فهاموا به حباً، وأقروا له

بالربوبية، فلما جاؤوا إلى الدنيا بقي أهل الإيمان على عهدهم الأول. أما الكفار فشغلتهم الدنيا وأهواؤهم حتى نسوا الله؛ وأخذتهم سكرة الدنيا.

كما قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

فلما ماتوا انتبهوا، واستيقظوا من غفلتهم، وتذكروا محبوبهم الأول، واشتاقوا لرؤيته؛ وهيهات لهم ذلك، فكان احتجابه عنهم سبحانه من أشد العذاب لهم.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كما أن الله تعالى إذا تجلى بالرؤيا؛ فإنه سبحانه يتجلى بألوان الجمال والكمال والنور، وهذه محبوبة لكل مخلوق؛ حتى الجمادات والأشجار تحب الجمال، وإن الجمال المطلق هو جمال ربِّ العالمين، فكل ذرة في الكون تُحب وتشتاق لرؤية جمال الله على حسب استعدادها واستطاعتها.

ومن هناك قال بعضهم:

إذا ما بدت ليلى فكُلِّي أعين وإن هي ناجتني فكُلِّي مسامع

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: أن كل زجاجة مختومة لصاحبها ومعينة لفلان بن فلان.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي: ممزوجة من عين تتسنم لهم، وعين التسنيم هذه يشرب منها المقربون حتى يرتوون بها ويمتلئون منها.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ لقوة إيمانهم؛ فتزيدهم إيماناً على إيمان، ومعرفة على عرفان، وشوقاً على شوق، هذا لأن للماء أثراً في شاربه، كما جعل في ماء المطر آثاراً تظهر في الأرض من إنبات الزروع والأشجار.

وقد ضرب الله مثلاً لنزول القرآن في القلوب بماء السماء النازل على الأرض والأودية: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧] ليبين أنه ليس المراد من المثل هذه الأرض وهذا الماء، وإنما ليَعْبُرَ الإنسان من هذا المثل إلى معنى أجل وأسمى؛ وهو تنزل القرآن وأسراره على القلوب؛ وأثره في حياة القلوب وإيمانها، وعلى هذا فعين التسنيم لها أثرها في الشاربين؛ ونسأل الله ذلك من فضله.

*** من مراتب المقربين:**

اعلم أن الأبرار جمع بَرّ وهم الذين جمعوا شعب الإيمان كلها، وتحققوا بها، لأن الإيمان بضع وسبعون شعبة، كما في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»[١].

والبِر هو الإيمان بما تضمن من شعب: اعتقادية وعملية، وقولية

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٢٣٤).

وخلقية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وإنّ مَنْ أَخَلَّ بشعبة من شعب الإيمان فإنه موقوف عن دخول الجنَّة حتى تكمل له جميع شعب الإيمان، ومن مات ولم يتحقق بها فقد يُكمل في برازخ الآخرة، أو تناله الشفاعة حتى يدخل الجنَّة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»[1].

أما المقربون فهم الذين سبقوا الأبرار بنوافل العبادات والطاعات لله سبحانه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١] وما سموا بذلك إلّا أنهم تقربوا إلى الله سبحانه بالنوافل؛ فقربهم إليه فصاروا مقربين.

واعلم أن التقرب إلى الله سبحانه له أنواع ومراتب، وقد يتحقق المؤمن بمرتبة واحدة، وقد يجمع عدّة مراتب في القرب إلى الله سبحانه،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٧٧/٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٢٢) رقم (٥٤)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب إفشاء السلام (٥١٩٣)، والترمذي في أول كتاب الاستئذان والآداب (٢٦٨٩).

وذلك على حسب نشاطه وإقباله على الله، وقد جمع الصحابة رضي الله عنهم مراتب القرب إلى الله تعالى كلها.

*** ومن مراتب التقرب إلى الله سبحانه:**

العلم النافع: فمن تعلم علماً نافعاً، وعمل به؛ ونشره بين الناس، وانتفعوا به، فإنه من جملة المقربين، وقد قرن الله سبحانه ذكر العلماء العاملين النافعين بذكر الملائكة فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[آل عمران: ١٨]

كما أثبت سبحانه للعلماء العاملين مقام الخشية من الله فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

كما أنه سبحانه رفع درجتهم على غيرهم فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ أي: رفعاً عاماً ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] أي: درجات خاصة.

جاء في مسند أبي يعلى، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم عن الأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود ـ أي: بالجود المطلق ـ وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم مِنْ بعدي: رجل عَلِمَ علماً فنشر علمه ـ أي: بين الناس ـ يُبعث يوم القيامة أمة واحدة ـ أي: يبعث بمنزلة أمة واحدة ـ ورجل جاد بنفسه في سبيل الله؛ حتى يقتل»(١).

---

(١) ينظر في مجمع الزوائد (١/١٦٦).

واعلم أنه لا ينتقص العلماء العاملين ولا يبغضهم إلا منافق، كما جاء في الحديث[1]، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط» أي: الحاكم العادل.

*** ومن جملة المراتب:**

الإكثار من ذكر الله تعالى؛ وهو أن يستغرق الذكر جميع الأوقات، ويعم جميع المدارك والحواس وعلى جميع الأحوال، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وأولو الألباب هم: أهل العقول المستقيمة الصحيحة، والقلوب السليمة، فلقد دخلوا من الباب، وكُشف لهم الحجاب، ووصلوا إلى اللّباب، فصاروا أولي ألباب.

وإن وصف أولي الألباب مِنْ أوصاف السابقين المقربين، وقد وصفهم سبحانه بأنهم ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله في كل الأحيان وعلى جميع الأحوال.

وإن ذكرهم لله تعالى ليس باللسان فقط، بل بقلوب متعلقة بمحبة الله ومولعة بذكره.

---

(١) عزاه في مجمع الزوائد (١/١٢٧) إلى الطبراني في الكبير.

وقد وصفهم صلى الله عليه وآله وسلم بالولع بذكر الله تعالى، وأنهم من السابقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسير في طريق مكة، فمرّ على جبل يقال له: جُمدان.

فقال: «سيروا هذا جمدان، سبق المفردون».

قالو: وما المفردون يا رسول الله؟

قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[1].

وفي رواية الترمذي[2]: قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟

قال: «المستهترون ـ أي: المولعون ـ في ذكر الله؛ يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً».

والمفرد: هو المنفرد، لأنَّ انفرد وفرد بمعنى واحد.

فالمفرّدون: هم الذين انفردوا بقلوبهم مع ربهم عن خلق الله سبحانه، فهم منفردون بقلوبهم مع الله تعالى، ولم تَشْغلهم أمور الخلائق، وإنما قلوبهم مولعة ومعلقة بالله تعالى، فهم دائماً على ذكره سبحانه.

وهناك مرتبة خاصة للأفراد والمفردين؛ كما هو مصطلح عند أهل الله رضي الله عنهم، فمنهم الذاكرون الله كثيراً؛ ومنهم... ومنهم...

وقال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن آخر كلام فارقت عليه

---

(١) رواه مسلم في أول كتاب الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة (٢٦٧٦).

(٢) في كتاب الدعوات (٣٥٩٠).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - أي: حينما ذهب إلى اليمن - أن قلت: أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟

قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»[1] أي: أن تحيا ولسانك رطب من ذكر الله؛ حتى إذا جاءك الموت ولسانك رطب من ذكر الله.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش، فقلت: مَنْ هذا، ملك؟ قيل: لا، قلت: نبي؟ قيل: لا، قلت: من هو؟ قال: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم يَسْتَسِبَّ لوالديه»[2] أي: لم يرتكب أموراً تجعل الآخرين تسبه وتلعن والديه، بل حَفِظَ شرفه وكرامته وكرامة والديه.

واعلم أن تعلق القلب ببيوت الله تعالى دليل على عمارة هذا القلب بالإيمان، لأن القلب المؤمن الحي يحب بيت الله تعالى؛ وذلك للمناسبة بينهما.

فقلب المؤمن هو بيت معرفة الله سبحانه، والإيمان به، وموضع نظر الحق وتجلّيه، كما في الحديث[3]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

---

(١) عزاه في مجمع الزوائد (١٠/٧٤) إلى الطبراني والبزار، ورواه ابن حبان في صحيحه (٨١٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء.

(٣) عند الإمام أحمد (٢/٢٨٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم... (٢٥٦٤).

فقلب المؤمن هو بيت كبير من بيوت الله تعالى، والمسجد هو بيت عبادة الله، ولولا بيوت القلوب ما عمرت بيوت المساجد بالعبادات لله سبحانه.

ومن هنا تفهم وجوب تعظيم المؤمنين، وذلك لعمارة قلوبهم بالإيمان بالله، فهم أعظم حرمة من المساجد.

ولما ذكر سبحانه أنواع بيوته في الأرض ذكر أولاً بيت القلب فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: في قلب عبده المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الآية [النور: ٣٥].

ثم ذكر بعد ذلك بيوت عبادته وطاعته سبحانه فقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

لذلك كان بين قلب المؤمن والمساجد مناسبة قوية وألفة ومحبة.

كما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم في جملة مَنْ يُظلهم الله في ظله يوم القيامة: «ورجل قلبه معلق في المساجد»(١).

وإن أول قلب أشرق فيه نور الله، وانعكس فيه نور الله، وعكس نور الله على بقية القلوب، هو قلب السيد الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) طرفٌ من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٤٣٩) والبخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال: أَيْ مثل نور الله في قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كمشكاة.

وعن هذا القلب الجامع استمدت القلوب ومنه أخذت، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أول من عقل عن الله سبحانه، وأول من أخذ عن الله، ثم قسم على العباد بأمر الله تعالى.

واعلم أن علامة النفاق بغض المساجد، وعدم تعظيمها، لأنه كلما عَمُرَ بيت القلب بالإيمان؛ زاد حبه وتعلقه بالمساجد.

فالإكثار من ذكر الله تعالى يَجب أن يعم جميع الأوقات والأحوال، ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على أحيانه كلها، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه)[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَيَذْكُرَنَّ الله قوم في الدنيا على الفرش الممهدة، يدخلهم الله الدرجات العلى»[٢] أي: أنهم يذكرون الله تعالى في جميع الأحوال حتى على الفرش الممهدة اللينة.

---

(١) ينظر صحيح البخاري كتاب الحيض، بابٌ: تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف، وأورده عن السيدة عائشة رضي الله عنها في كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه ههنا وههنا ـ هل يلتفت في الأذان ـ ومسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حالة الجنابة (٣٧٣).

(٢) عزاه في مجمع الزوائد (٧٨/١٠) إلى أبي يعلى، وأورده ابن حبان في صحيحه (٣٩٨).

*** ومن مراتب المقربين: المسابقة في العبادة والطاعة لله سبحانه:**

وفي هذا يقول سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: الأولياء الصالحون ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] أي: يبتغون الوسائل المقربة إلى الله سبحانه من الأعمال الصالحة والنوافل، حتى يتسابقوا في التقرب إلى الله سبحانه.

فهم يبذلون الجهود في الأعمال والنوافل القولية والعملية حتى ينالوا القرب من الله عزّ وجل.

ومن جملة العبادات نوافل الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ أي: واسجد لله سبحانه واقترب إلى الله تعالى بسجودك له، فكثرة السجود والصلاة لله تقرب إلى الله تعالى.

روى الإمام مسلم في صحيحه[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء» أي: إن أقرب أحوال العبد من ربه وهو ساجد.

وإن السجود المقرب إلى الله تعالى هو السجود الذي رافقه الحضور مع الله سبحانه، والخشوع له سبحانه، ملاحظاً أنك ساجد لله تعالى بكليتك.

---

(١) في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٢).

ولقد كان عليه الصلاة والسلام يقول في سجوده: «سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»[(١)].

ويقول: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي»[(٢)].

وإن القرب إلى الله تعالى هو مقصود وبغية الأكابر والصالحين: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فهم يتقربون إلى الله تعالى بالعبادات والطاعات حتى يقربهم سبحانه، وهذا مطلب الملأ الأعلى أيضاً، كما في الحديث[(٣)]: «وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه» أي: أنهم دائماً في عبادات لله تعالى حتى يتقربوا أكثر فأكثر.

ولقد نَبَّهَ عليه الصلاة والسلام إلى طريق القرب في الحديث الذي رواه الشيخان[(٤)]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا

---

(١) طرف من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين،باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧١) عن سيدنا علي رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو يعلى والبزار في مسنديهما، يُنظر مجمع الزوائد (١٢٨/٢)، والحاكم في المستدرك (٥٣٤/١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذكره الآلوسي في تفسيره في سورة الأنعام الآية (١١٠)، وكذلك ابن عجيبة في أول شرحه للحكم العطائية.

(٤) البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] - واللفظ له - (٧٤٠٥)، ومسلم في أول كتاب الذكر والدعاء والتوبة (٢٦٧٥).

ذكرني ـ وفي رواية[1]: «وأنا معه حين يذكرني» ـ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في مَلَإٍ ذكرته في مَلَإٍ خير منهم ـ أي: أكثر منهم ـ وإن تقرب إليّ شبراً ـ أي: بعمل، ضرب له مثلاً بالنسبة ـ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي ـ أي: بأعمال وكأنّه يمشي سريعاً ـ أتيته هرولة».

فإن أول ما افتتح الله تعالى هذا الحديث على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه عند ظن العبد به، وفيه يُنبئ الله عباده ويحملهم على حسن الظنّ بربّ العالمين، ويجب على سالك طريق التقرب إلى الله أن يُحَسِّنَ ظنه بالله، وأن لا ييْئَس أو يقنط أو يستبعد على الله أن يقربه ويكرمه، فحسن الظن بالله أساس ومبدأ طريق التقرب إلى الله تعالى.

وَمِنْ حُسْنِ الظن بالله تعالى: أن ينظر الإنسان إلى نفسه فيرى عيوبه وتقصيره مع الله تعالى، وأن ينظر إلى جانب الحق بأنه سبحانه أهل أن يقبل مثله، وأن يتفضل عليه بالقبول والقرب والمغفرة.

فحسن الظن بالله سبحانه وتعالى لا يقوم على عمل الإنسان، وإنما على سعة مغفرة الله ورحمته، لأنه سبحانه هو الذي نَدب إلى حسن الظن به سبحانه، وَمَنْ لم يتحقق بحسن الظن بالله في عباداته وطاعاته فهو مقطوع محروم عن القبول والقرب.

اللهم ارزقنا حسن الظن بك، وصدق التوكل عليك، ووفقنا لمَحَابِّكَ من الأعمال والأقوال ـ آمين.

---

(١) عند الإمام أحمد في المسند (٢/٤١٣)، والإمام مسلم (٢٦٧٥).

«وأنا معه حين يذكرني» أي: فليثق الذاكر حين يذكرني أني معه بالمعية الخاصة، المتضمنة للعناية والرعاية والتوفيق.

ثم بيَّن سبحانه أنه يتقرب إلى عبده ضعف ما يتقرب إليه العبد، فقال: «وإن تقرب إليّ شبراً» أي: تقرب إليّ بعمل، يُضَرب له مثل كأنه قُرْب شبر، لأن القرب إلى الله تعالى ليس بالمكان أو الأجسام «تقربت إليه ذراعاً» أي: ضعف ما تقرب العبد، لأنه سبحانه يُحب أن يُقرب العبد أكثر من محبة قرب العبد من ربه، لأن العباد عباده، وهو يحب أن يقربهم سبحانه.

«وإن أتاني يمشي» أي: أتاني بأعمال مسرعاً فيها «أتيته هرولة» فانظر إلى عظمة الله وكرمه، وحبه لعبده المتقرب إليه.

ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين

والحمد لله رب العالمين

** ** ** ** ** **

المحتوى

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين

❊❊ ❊❊ ❊❊

كتب فضيلة الشيخ الإمام عبد الله سراج الدين رضي الله عنه

* حول تفسير سورة الفاتحة ـ أم القرآن الكريم.
* حول تفسير سورة الحجرات.
* حول تفسير سورة ﴿قٓ﴾.
* حول تفسير سورة الملك.
* حول تفسير سورة الإنسان.
* حول تفسير سورة العلق.
* حول تفسير سورة الكوثر.
* حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها.
* هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان.
* هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان.
* تلاوة القرآن المجيد: فضائلها ـ آدابها ـ خصائصها.
* شهادة لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ﷺ ـ فضائلها ـ معانيها ـ مطالبها.
* سيدنا محمد رسول الله ﷺ: خصاله الحميدة ـ شمائله المجيدة.
* الهدي النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية.
* التقرب إلى الله تعالى: فضله ـ طريقه ـ مراتبه.
* الصلاة في الإسلام: منزلتها في الدين ـ فضائلها ـ آثارها ـ آدابها.
* الصلاة على النبي ﷺ: أحكامها ـ فضائلها ـ فوائدها.
* صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال.
* الدعاء: فضائله ـ آدابه ـ ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات.

* حول ترجمة الشيخ الإمام محمد نجيب سراج الدين الحسيني.
* الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها.
* الإيمان بالملائكة عليهم السلام ـ ومعه بحث حول عالم الجن.
* الأدعية والأذكار الواردة آناء الليل وأطراف النهار.
* شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.
* أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات.
* مناسك الحج ـ ومعه أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها.
* الصيام: آدابه ـ مطالبه ـ فوائده ـ فضائله.

* * * *

من آثار الشيخ الإمام رحمه الله تعالى (المطبوعة)

* محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ مع العالم:

الجزء الأول: وفي مقدّمته ترجمة موسعة للشيخ الإمام رحمه الله تعالى.

الجزء الثاني: (في الوعظ والتذكير).

الجزء الثالث: (موقف تعليم الكتاب).

* دروس حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم.
* محاضرات حول الإسراء والمعراج: آثاره ـ فضائله ـ أسراره.
* محاضرات حول هجرة رسول الله ﷺ.
* محاضرات حول الفضائل المحمدية ﷺ.
* محاضرات حول عالم الجنة: مراتب الجنة ـ ألوان النعيم في الجنة ـ صفات أهل الجنة.

* * * *